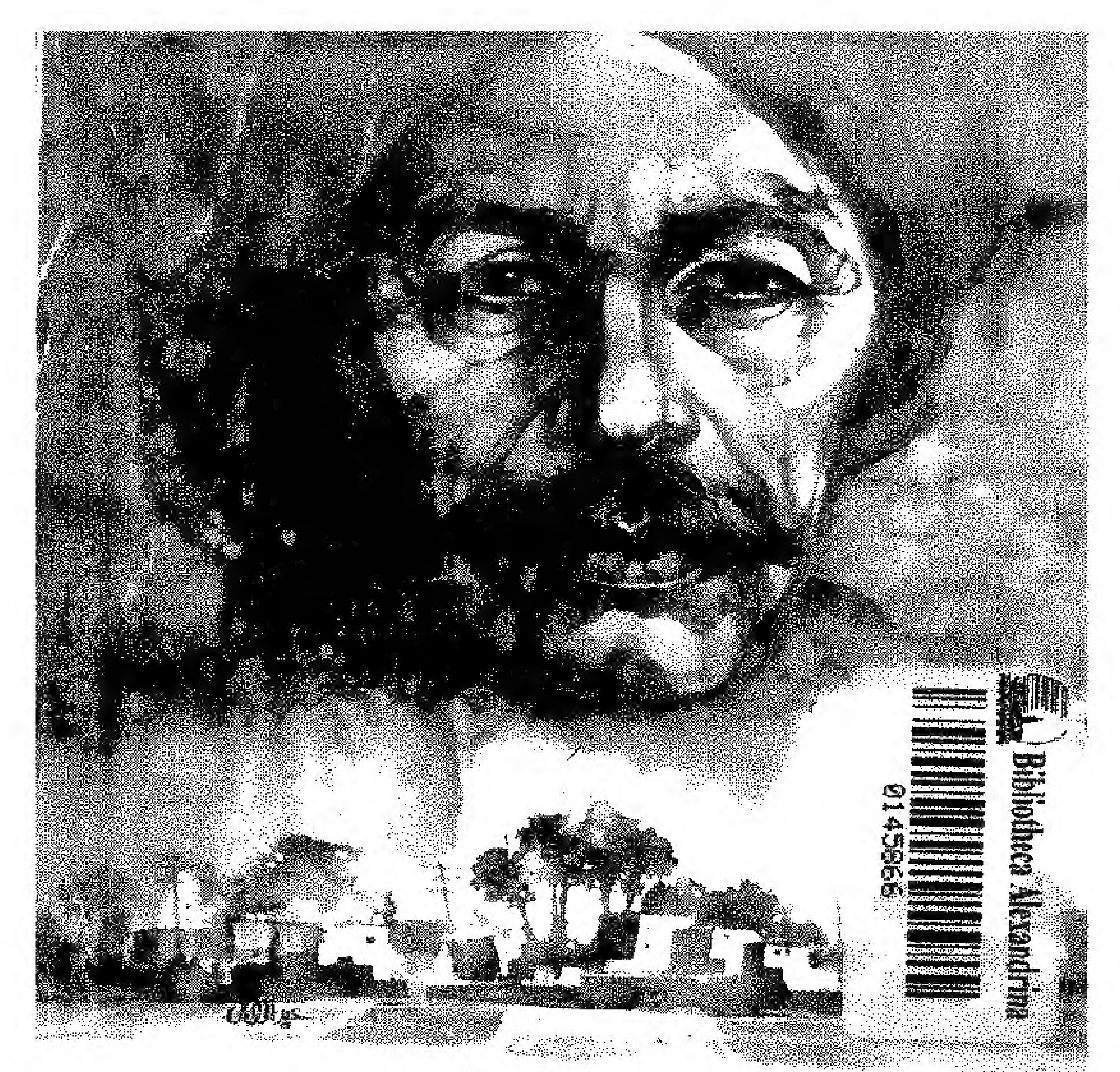


أحلام في الظهيرة

ثروت أباظه

مكتبة غريب

احلام فى الظهيرة

ثروت أباظه

أحلام في الظهيرة

مكتبة غريب

— ١ —

حين كان الزمان مثل الموسيقى الحالمة الهادئة وكان الناس فيه أنغاما ساجية حالمة . ذلك الزمان الذى لم نره نحن وانما هو بالنسبة الينا روايات عن الآباء تلقفوها عن الأجداد فأصبحنا ولا نعرف عنه الا مباهجه ومتعته ، الجلسة الهادئة المليئة بالسعادة والضحك والهناء ، فالأجيال جميعا تحب ان تنظر الى أمس الغارب وتكره الحاضر وما تشهده فيه من صراع وتخشى المستقبل الذى تطل عليها بواكيره مكشرة الأنياب رهيبة السمات .

ذلك الزمان البعيد عنا هو أحب الأزمان علينا لأننا لم نشهده ولا نستطيع أن نعرف منه الا ما حلا للأجداد ان يرووه لأبنائهم الذين هم آباؤنا ونقله الينا الآباء سعداء بما ينقلون مقارنين دائما بين الخير الذى كان يشيع فى جوانبه والشر الذى يغشو فى الزمان الذى يعيشون فيه . وهكذا أصبح شأننا نحن أيضا لا يختلف جيلنا الحاضر عن أجيالنا السابقة فأصبحنا ساخطين نحن نفوسنا الى هذه الفلاوة من الزمن التى كنا فيها.

بلا مسئولية وبلا صراع وكان اباؤنا يحملون عنا العبء جميعا ونحن نتصور ـ كما يتصور ابناؤنا اليوم ـ أن عليهم أن يحملوا العبء وعلينا نحن ان نسعد وعليهم هم ان يحبونا وعلينا نحن ان نحترمهم فقط ثم لا نصنع شيئا من بعد ·

في ذلك الزمان البعيد بدأت أسرة وهدان تتكون · وكان راس الأسرة طفلا بريئا في الملعب يلهو مع أترابه من الأطفال لا فارق ثمة بين طفل وطفلة ولا بين قادر بسط الله الرزق لأبيه وبين معسر قدر الله سبحانه ـ لحكمة لا يعلمها الا هو ـ الرزق على نوبه · في ذلك الزمان كان وهدان يحب نبوية ذلك الحب الطفل الطيب الذي لا يعني عند اى منهما الا خفقة في القلب وفرحة عند اللقاء وشوقا عند التباعد ·

وحين شب كلاهما عن الطفولة الى الصبا القريب من الفتوة احتجبت نبوية ولم تصبح الحياة كلها لعبا عند وهدان · بل كان يحلو له أن يتشبه بالرجال ويقف في الجرن ويرقب النورج او يركبه · أو يقف في الغيط يجمع القطن او يرقب من يجمعونه · وما كان أبوه غنيا ولم يكن ايضا معسرا وانما هي اربعة افدنة تنأى بأبيه عن الأجراء لتضعه في مصاف الملاك ·

ولكن الحقيقة مع ذلك تبقى كما هي أربعة فدادين ·

كانت الشمس ساخطة على الأرض ، تكويها بشواظ لاهب من النار ، وكان النورج يدور وقد أوشك هو الآخر أن ينبجس العرق من خشبه أو من عجلاته الصلبة الحادة وهي تمر في دائرة مفرغة على عيدان القمح في ملالة وضيق يجرها الثور الكبير وقد اوشك أن يتهاوى من شدة الحر · وكان وهدان يعتلي صهوة

الدكة الخشبية التي يجلس اليها من يسوق الثور وبيده سوط مفتول من لحاء اشجار التيل الذى يزرعونه حول حقول القطن ليرد عنها عادية الأتربة وعدوان الحيوان ٠

وكان يدرى ان الجرن الذى يتلبس فيه ملابس الرجال ذوى الأعمال هو الطريق الطبيعى لسير قبوية ٠ وكانت هى ايضا تعلم ذلك فكانت تظل فى هذا اللهيب من الحر رائحة جائية تتظاهر بانها تؤدى مطالب المنزل وعلم الله واحسب ان وهدان ايضا كان يعلم انها لا تكثر من المرور الا لتلتقى نظراتها بنظراته وتلقى الى شفاه كل منهما تلك الابتسامة الوادعة الحنون التى يخفق لهما القلب ذلك الخفق الدؤوب الجديد المرتفع الوجيب المتخافت الصوت حذر أن يطلع عليه من شهود اللقاء أحد ٠

كانت حياة وهدان منذ البواكير الأولى من سنوات عمره حياة جادة حازمة كلها عمل ٠ وربما كانت سنوات الكتاب التى تتسم بعنف المعلم وصعوبة العلم بالنسبة لوهدان هى اندى هذه السنوات واخفها وطأة عليه لو كان من هؤلاء الذين يرون فى العمل جهدا وشقاء ٠ ولكنه كان من الذين يحبون أن يعملوا ٠ ولا يقومون العمل ان كان ممتعا أو غير ممتع ٠ وانما هو عمل ولابد أن يؤدى فهو يؤديه كما يتنفس الهواء ويطعم الطعام ٠

ولم يكن جلوسه على النورج فى هذه السن الباكرة لعبا شأن رفاقه من الصبية ٠ فما هى الا أيام قليلة ركب فيها النورج لهوا ومراحا ثم سحب أبوه المكلف بادارة النورج ، ووجهه الى أعمال أخرى وترك النورج بكل ما يتصل به من أعمال عهدة فى ذمة وهدان ، فهو الذى يجمع اكوام التبن والقمح ويمد النورج

يزاده الجديد من أعواد القمح ذات السنابل حتى اذا مالت الشمس الى منزلها من العصر توجه الى كوم القمح رجلان أو ثلاثة الشداء ليذروا الأكوام فينفصل القمح عن التبن بنفس الوسيلة التى كان يتبعها أجدادهم وأجداد أجدادهم منذ عرف الانسان القمح كوسيلة لصنع العيش ٠

ومرت الأيام ٠ وأوشك موسم الحصاد أن ينتهى وبدأت المخاوف تساور الصبيين اللذين التقيا بشبابهما مع انسام القمح أن يصبح اللقاء بينهما غير ميسور ٠

وكانت الشمس فى السماء حريقا وكان النورج يدور دورات كان وهدان فى غير حاجة اليها ولكنه يديره ليجد عند نفسه او عند السارة عذرا ينتظر به مرور نبوية حتى اذا مرت قفز من النورج قفزة سريعة ملهوفا يريد أن يظفر منها بوعد على اللقاء ولكن مسمارا فى النورج يمسك بجلبابه فاذا وهدان تحت النورج واذا الأسلحة تبتر ذراعه الأيسر أو تكاد وترى نبوية ما حل بحبيبها وتصرخ بأعلى صوت لها فيدوى صراخها فيملأ انحاء القرية وتجرى الى وهدان الذى فقد وعيه فتبعده عن النورج وتعمد الى خمارها وتمد به نوافير الدماء المندفعة من الذراع وتحتضن الفتى فى لوعة وتصرخ لا يعنيها أن يراها الناس ، ويقبل الملا من كل حدب وينقلون وهدان الى حلاق الصحة وتلازمه نبوية لا تتركه ويضطر أبواها اللذان جاءا مع الجموع أن يلازماها مدركين ما ينفطر به قلب الابنة ٠

وحين تطمئن الجموع على حياة وهدان ينصرف كل الى شأنه الا نبوية ٠ ويقول الأب لزوجته وابنته :

ـ اذهبا انتما فانى سابقى

ولا يدرى احد او لعل كل محب يدرى من اين استطاعت نبوية ان تأتى بكل هذه الشجاعة التى تجعلها تقول لأبيها فى حسم قاطع لا يقبل المناقشة :

ـ انا سابقى يا ابا ..

ويخشى الأب ان يجاوز النقاش ما بلغه من حسم فيفضح من حب الفتاة الطاهر ما ينبغى ان يظل فى طى الكتمـــان ويقول فى استسلام :

ـ ونبقى نحن ايضا ..

ومع انسام الفجر تنقطع اهات وهــدان التى ظلت تدوى طوال الليـل وتوقظ نبوية التى لم تنم اباهـا وامها من نومهمــا الجالس ويتجه ثلاثتهم الى بيتهم ٠

★ ★ ★

— ٢ —

اى تحد تلبس وهدان منذ ذلك اليوم · كان يعرف نفسه طفلا لاهيا اذا دعاه الرفاق الى اللهو · وكان يعرف نفسه أيضا يقبل على العمل مع ابيه كلما دعاه ابوه الى ذلك العمل · ولم يكن يعرف فى نفسه أن اقباله على العمل ما كان الا ليستجلب الى كيانه وجوانحه ذلك الشعور بانه بلغ مبالغ الرجال · وانه يستطيع ان يقوم بعملهم ويسير طريقهم ويختط فى الحياة خطتهم · وانه بذلك يستطيع ان يحدث نبوية وكأنه رجل · وانه خف القطن مع ابيه وانه جمع مع الجامعين وانه فى موسم الذرة يفرط ثمارها عن كوالحها وانه فى موسم القمح يدرسه كما رآته · كان يحب ان يصنع هذا الصنيع ولم يكن يدرى أنه يحب ذلك جميعه ليلنشيء منه حديثا مع نبوية فى امسيات الصيف وبمشهد من الحقول ومن اشجار الكافور والنبق ومع روائح الزروع ومع انسام العبق الالهى تسرى فى خفايا الليل بكرا دائما كأنها لأول مرة تنطلق الى ارجاء الحياة ··

وحين اصابه هذا الذي اصابه واصبح بذراع واحدة ظل طوال فترة علاجه يفكر .. ايصبح عاجزا .. ايثير الشفقة كلما وقعت عليه عين .. ايكون في الحياة انسانا ناقصا .. لا امل من بعد في نبوية .. ولكن ماذا يمسد .. ان تلك وحدها كارثة الكوارث اجمعين ولكنها حصلت .. وقعت .. بترت ذراعه .. ايصبح على الحياة عالة .. ايفقد نبوية ويفقد كرامته في وقت معا . لترين مني الايام ما لم تتوقعه مني حين كنت صحيحا بل وما لا تتوقعه من صحيح آخر مهما تكن قوته وجبروته .

لأكونن اشد عنفا عليها مما عنفت به على .. فتى كان في اول عهده بالفتوه ينام في سريره ليعالج في ذلك الزمان البعيد كل البعد عن زماننا اليوم .. والأيام تتطاول به والمرض جاثم باتر والدواء بدائي يحبو مايزال في ظلمات دوامس من الجهل والتأخر ... ماذا يصنع الفتى اذا لم يتوعد الحياة ويهددها ... وما البأس عليه وهو نائم والحياة كلها يقظة ودأب وعمل وكدح

ولكن نبوية تعوده كل يوم .. فما له اذن يقطع ان الأمل في الزواج بها قد انقطع ؟ وماله يجعل فقدانها أمرا لا مفر منه ولا شك فيه ولا سبيل اليه . والعجيب العجيب انه كان يكره زيارتها وان كان قلبه يملو به الوجيب طوال الفترة التي تستغرقها الزيارة . وكان يرى في عيني امه وابيه علامات تعجب فقد كان الفتيان والفتيات يزوجون في مثل هذه السن في هذه الأيام فما لهذه الفتاة لا تفنى حياءها وما لها تصر على زيارة فتى بترت ذراعه ويصلح لها عريسا . اتظن انه مادامت ذراعه قد بترت فهو لن يتزوج على اية حال .. انها مجرد ذراع ايتها الفتاة .. وما تمنع الذراع المبتورة الفتى أن يتزوج . فما مجيئك هذا كل

يوم في جراة لا تكون الا لزوجة كتب كتابها ودخلت ايضا · فما كان يجوز لن يكتب كتابها ولم يدخل بها زوجها ان تذهب الى بيته وحدها ·· بله الخطيبة ·· بله التى ليست بهذه ولا بتلك ·

عجيب شان نبوية فى راى الاب والأم معا ·

اما وهدان فقد استقر به الراى على واحدة من أثنتين ·· اما انها تشفق عليه فى هذه المحنة الطاحنة ● واما انها تريد ان تحيي موات أمله حتى ينتهى العلاج ويخرج الى الحياة مرة اخرى · وكلا السببين كان يجعله يحزن كلما جاءت لزيارته ، وقد كانت زيارتها يومية وكلا السببين لم يستطع أن يجعل قلبه يكف عن الوجيف ·· وجيفا عاليا دراكا يكاد يعلن عـن نفسـه للملأ الحاضرين بل والغيب أيضا ·

وشفى وهدان ·· وخرج للحياة ورضى عن نفسه وهو يجعل من احلام المرض وهذائه حقا واقعا وقوع حياة جادا جدية من لا يهذى ولا يعرف الى الهذاء سبيلا ·

هو فى الغيط منذ الصباح الباكر وهو لا يعود الى البيت الا بعد أن تغيب الشمس وتوغل فى المغيب وتأتى اليه نبوية فى الغيط وعلى ملأ من الذين يعملون فيه وتجالسه · فى أول يوم ذهب فيه الى العمل · وحرص أن يجعل الحديث بعيدا عن مواطن القلب وحرص على ألا يتخاضع لها فى الكلام وانما شكرها لأنها جاءت تهنئه بسلامة الخروج وشغل نفسه بالذين يعزقون الأرض لاينصرف عنهم ولا يميل اليها بكلمة · وأن كانت نفسه جميعا باقية بجانبها لا تستطيع عنها منصرفا ولا تطيق منها فكاكا ·

وابتسمت نبوية بتلك الشفافية التى عرفها الريف فى قلوب فتيانه وبنياته . فمع أنها كانت ترى وجه وهدان وهو منصرف عنها الى فؤوس العامليين الا أنهـا كانت واثقـة أن نفســه جميعـا بقلبها وجوانحها بجانبها . انتظرت مليا ثم قالت فى شبه همس وفى صوت أغن :

ـ فتك بعافية يا وهدان .

وقال دون أن ينظر اليها :

ـ مع السلامة .

وصحبت نفسه وجوانحه وانصرفت ، وقال هامسا لما بقى منه .. ما تزال تحاول تشجيعى على مصيبتى ..

وفى اليوم التالى جاءت نبوية ولم يطق وهــدان صبرا ... امسك يدها وانتفض جسمه انتفاضة لم يعرفها فى حياته قط وابتعد بها عن الجميع :

ـ مجيئك بالأمس يرى فيه العاملون فتاة تهنىء ابن قريتها بالعودة الى العمل أما مجيئك اليوم فغير مقبول ... عـودى الى البيت .

ـ وكيف أراك .

ـ سأجىء انا اليك .

ـ أين ومتى ؟

ـ أيوافق ابوك على مجيئك ؟

ـ لم أسأله .

ـ أتظنين أنه يوافق ؟ !

ـ اذا اتصل الأمر بى وبك فانا لا افكر .

احس بالكلمة كأنها رصاصة اصابت منه كل المقاتل ونظر الى ذراعه المبتورة وأبقى عينيه عليها لتخفيا دمعات تبادرت فهمس وقال بصوت لا يكاد يسمع ولكن فى نبرته امر وحسم .

ـ عودى الى بيتك .

وفى غير تردد قالت وهى تولى عنه :

ـ امرك هو الأمر الوحيد الذى لا اناقشه .. فتك بعافية .

وتزداد الدموع وبلا من عينيه ... اما عافية الجسم فقد اتالهـا اما عافية الروح فهيهات .

وظل وهدان يذهب الى الغيط كل يوم ومرت شهور وكان ابوه يظن اول الأمر انها نزوة جريح فقد ذراعه ولا يريد أن يصاحب الفتية فيما يضطربون فيـه حتى اذا تتابعت الشهور وأوشكت ان تكتمل عاما اصبح الأب فى غناء عن الذهاب الى الحقل وراح يقضى نهاره فى جلسته الحبيبة عند عبد الحميد ابو ديدة الخياط الذى لا تمنعه صنعته عن الحديث ولا عن سماع من يقرأ الجريدة له .

وكانت نبوية فى كل يوم تذهب الى حيث ترى وهدان وتطمئن عليه وتنصرف لاتقترب منه ولكن لاتمضى أو تكون واثقة انه رآها .

اذن فالامر ليس اشفاقا ... ولا هو بتشجيع ..

جاءت من بعيد ورآها فراح يجرى اليها بكل قوته وهى قوة عاتية ... وما كان فى حاجة الى الجرى فقد كان مناهـا ان يقبل اليها ولو اقبالة وانية هينة وانها لمنتظرة وان استغرق خطوه اليها عاما واعواما ...

ـ ماذا تريدين يا نبوية ؟ .

ودون ان تفكر لحظة ٠

ـ اريد أن اتزوجك ٠

ومادت به الارض بما حوت وصاح ٠

ـ انا بذراع واحدة يا نبوية ٠

وصاحت هى ايضا به ٠

ـ وهل هذه جديدة على ٠

وفى تعجب حزين ٠

ـ الم ينقطع حبك لى حين انقطع ذراعى ٠

واجابته فى قوة حاسمة ٠

ـ ومن قال لك انى كنت احب ذراعك ٠

ويطاطىء راسه ٠

ـ لم اصبح انسانا كاملا ٠

ويعلو صوتها وهى تقول ٠

ـ ومن قال لك ان الانسان ذراع او ساق ٠٠٠ ان الانسان قلب وحنان ورجولة واصرار ٠٠٠ احببتك بعد ان فقدت ذراعك اضعاف اضعاف ما كنت احبك من قبل ، واحببتك حين امرتنى الا اجىء اليك فى الغيط اضعاف اضعاف ما احببتك بعد ان فقدت ذراعك ٠٠ وهدان ٠٠ اذا لم تتزوجنى فلن اتزوج طول عمرى ٠

وتزوجـــا ٠

★ ★ ★

— ٣ —

عجيب شأن الأيام والسنين · فالايام تمر بطيئة متثاقلة كأنما يدفعها القدر الى المضى رغم انفها بينما تمضى السنوات مسرعة تلهب الزمان بسياطها وتندفع كالسيل الجارف فاذا الطفل فتى واذا الفتى شاب واذا الشاب كهل واذا الكهل شيخ واذا نظروا الى امسهم وجدوه قريبا منهم يكادون لو مدوا ايديهم أن يمسكوا به او هكذا يخيل اليهم على الأقل · فهم يعلمون أن امسهم الذى ولى بعيد عنهم بعدهم عن بدء الخليقة · ولكنه فى اذهانهم وفى وجدانهم كأنه ما مضى · وقد يتجسم الخيال فى نفوسهم ويوشكون ان يصدقوه فما هى الا نظرة فى مرآة أو لومة متثاقلة يمرقها الكبر حتى يدركوا ما على اكتافهم من سنوات وتتبين لهم الحقيقة أوضح ما يكون الوضوح · ان السنين قد مرت ولم يكن مرورها بوهدان وزوجته عبثا فقد انجبا سباعى وخليل وفاطمة وعابدة ·

وكان وهدان طوال هذه السنوات خير فلاح فى القرية وربما كان خير فلاح فى المنطقة فاستطاع ان يشترى اربعين فدانا كاملة ·

فقد كان حريصا ان يشترى فى كل عام أرضا بما يفيض من ماله فلا يتكسر عنده مال الى عام قادم مرتئيا أن مستقبله ومستقبل أولاده جميعا هو هذه الأرض • ولكن عشرة افدنة من هذه الأربعين لهـا قصة انت بالغها •

ومع كل هذه الارض التى اشتراها لم يعرف احد عنه بخـلا ولا هو قصر فى الأنفاق على بنيه ولا هو كان شحيحا مع زوجه فما طلبت منه مطلبا الا كانت اجابة هذا المطلب هى أول شيء يسـارع اليه • لم ينس انها قبلته بذراع واحدة على غير غنى فما كان ابوه يملك غير اربعة افدنة استطاع أن يصل بها الى خمسة قبـل موته وبالجهد الذى بذله وهدان فما كان ابوه ذا همة وما كان يعنيه أن تزيد أرضه بقـدر ما كان يعنيه أن يجلس الى عبد الحميد ابو ديدة الخياط •

ولم يحاول وهدان وهو يجمع هذه الأرض أن يكون جشـعا يهتبل الفرص ويشترى ممن تلم بهم الضوائق أو تعترض حياتهم الكوارث ولم ينس أهل (الصالحة) قريتهم أن سليمان النواوى الذى يملك ستة أفدنة من أجود أراضى القرية جمعها من تجارة القطن التى كان بارعا فيها كل البراعة ضارب يوما فى البورصة فاذا هو مدين دينا كبيرا وان كان لا يستغرق الأرض • وقصد عبد الحميد أبو ديدة الى وهدان وأوعز اليه أن يشترى أرض سليمان فى هذه الفرصة ويفوز بها واذا بوهدان ينتفض عن انسان يمقت أن يكون اخاه فريسته :

ــ اترضى لى هذا يا عم عبد الحميد ؟ • •

ـ وماذا فيها يا وهدان يا بنى ... هو معذور ... ولابد ان يسدد الدين وجميع أصدقائه فى التجارة مضروبون معه ولا طريق له الا بيع الأرض فلماذا لا تشتريها انت ؟..

ـ قسما باهل بيتى جميعا لو كان سليمان هذا يهوديا لااعرفه ولا يعرفنى ولا نحن أبناء بلدة واحـدة ما فعلتهـا فكيف وهو ابن قريتنا نشأنا نراه ويرانا وتتزاور زوجته وزوجتى ويلعب اطفالى مع اطفاله .. صل على النبى يا عم عبد الحميد ..

ـ عليه الصلاة والسلام يا وهدان يا ابنى ولكن اليس هذا الذى تذكره سببا أن تنقذه من أزمته ..

ـ أيكون ما تشير به انقاذا أم اجهازا عليه ؟

ـ على الاقل ستكون انت رحيما معه فى الشراء وتدفع له ثمن الأرض دون أن تخسف بها سابع ارض كما يعرض عليـــه حمدان أبو اسماعيل .

ـ ولا هذا ..

ـ اذن فقد أضعت الرجل وانت تحاول أن تنقذه .

ـ وما كنت لأفعل هذا ايضا .

ـ فماذا انت فاعل ؟..

ـ قم معى ونسترى ..

وحين استقر بهم المجلس عند سليمان قال سليمان دون ريث من التفكير :

ـ الحمد لله انك جئت يا وهدان ··

ـ تحت أمرك يا سليمان ··

ـ والله لا يشترى الأرض الا أنت ·· لقد خسف حمدان ثمنها الى العشر وأنا مضطر للبيع ولكننى رفضت أن أبيعها له من شدة غيظى منه أما أنت فأبيعك اياها بالثمن الذى عرضه وأكون سعيدا ·

ـ صل على النبى يا أبو داود ··

ـ عليه الصلاة والسـلام ·· أتريد أن تنزل بهبا عن ذلك أيضا ؟··

ـ صل على النبى « أمال » ·· خذ هذه الفلوس ··

ـ ما هذه ·· ألا نتفق الأول ؟··

ـ ولا نتفق ولا يحزنون خذ وصل على النبى ·

ـ بكم تريد الفدان ؟··

ـ لا أريده مطلقا ·· لا اريده حتى ولو بعته لى بلا ثمن ·

ـ فما هذه الفلوس ؟··

ـ دينك ·· اذهب فسدده ··

ـ ماذا تقصد يا وهدان ؟··

ـ ماذا جرى يا سليمان ، اكلاب مسعورة نحن حتى نتشمم الضوائق تحيط بناسنا فنجعل منها فرصا لنا ·· لا يا سليمان ··

لا عشنا ان كنا نفعل ذلك ·· سدد دينك والتجارة يوم فى العالى ويوم فى الواطى وان خسانك السوق مرة فمصيره أن يكرمك فى المرة القادمة ··

ــ اما سبحان الله ·· ولكننا لسنا أصدقاء ··

ــ معارف ·· وأولاد بلد واحدة ووشنا فى وش بعضنا البعض العمر كله ·· وانا كنت سأشترى بضعة افدنة هذا العام بهذا المال الفائض عندى فماذا يجرى اذا اجلنا الشراء الى العام القادم ··

وصاح سليمان من الفرحة وكأنه يرى سحرا لا يصنعه احد من أبناء الأرض ··

ــ أهذا معقول ؟··

ــ غير هذا هو الذى لا يعقل ·· توكل على الله ·· سلام عليكم ··

ــ انتظر أكتب لك ورقة ··

ــ ولا ورقة ولا يحزنون ··

ــ لا ·· هذا ليس من حقك ··

ــ انه مالى وأنا حر فيه ··

ــ اطال الله عمرك ولكنه ليس مالك انه مال أولادك وانت أمين عليه ··

ـ لا مسئولية على امام أولادى ·· لقد ورثت عن جدهم خمسة افدنة ولو كنت بعتها لكان هذا من حقى ولكنى لم أبعها وزدت عليها ··

ـ اسمع من غير كثرة كلام · تأخذ الورقة أو تأخذ الفلوس ؟

ـ هات الورقة ··

وهكذا لم يكن وهدان في شرائه للأرض مسحورا ولا كان نهازة فرص · ومادمنا قد روينا قصته مع سليمان فمن حق القصة أن نكملها · لقد سدد سليمان دينه وعمل فى التجارة وكسب فى العام التالى كسبا يمكنه من سداد دين وهدان ولكنه لم يفعل وانما قصد الى وهدان ··

ـ لقد عملت في معروفا مازالت الجهة تتحاكى به ·

ـ يتهيأ لك ··

ـ اسمع ·· أنا كسبت هذا العام ولكننى مع ذلك لا أستطيع أن أرد اليك دينك ومن عمل معروفا فعليه أن يتمه فهل أنت على استعداد أن تتم معروفك ؟··

ـ اتمه ان شاء الله ··

ـ تترك فلوسك للعام القادم ··

ـ أمرك ··

وانصرف وهدان ودار العام فى غمضة عين وان كانت أيامه كانت تمر ثقيلة أثقل من الأيام العادية فقد كان سباعى كلما خلا بأبيه يقول له :

ـ لو كنت يا أبا اشتريت ارض سليمان لكان محصولها يكفى لشراء نصفها على الأقل هذا العام ٠

ويصيح الأب فى جزم اباء هذا الزمن :

ـ اخرس يا ولد ٠٠

ويضطر الولد أن يخرس ثم ما يلبث ان يكرر جملته تلك كلما امتد حديث الى محصول او أرض أو شراء أو بيع ٠٠

وكان الأب يحس حسرة أن ابنه يلومه ولم تكن الحسرة وليدة اللوم وانما كان باعثها أن ابنه سباعى على غير خلقه وانه لا يعرف معنى الا ينتهز انسان ضائقة انسان اخيه ولا يعف عند مقدرة ولا يتعالى عن خلق الذئاب ٠

وكانت نبوية تهون عليه ما يتداوله من الم لما جبل عليه ابنه البكر ٠ فكان يقول لنبوية :

ـ اخاف عليكم منه بعدى يا نبوية ٠٠

ـ لا عشنا بعدك يا وهدان ٠٠ لا عشنا بعدك ٠٠

ـ انه بلا قلب ٠٠

ـ ابنك لا يمكن أن يكون بلا قلب ٠٠

ـ أتصدقين أن الأبناء يرثون أخلاق آبائهم فيما يرثون هيهات ليست الأصلاب ولا الأرحام أمينة دائما ٠٠ والذى لا يقدر ما صنعته مع سليمان شخص يخشى منه يا نبوية ٠٠

ـ اسمع يا وهدان علينا ان نحمل همهم ونحن أحياء اما من بعدنا فعلى كل منهم أن يحمل هم نفسه ··

مر العام اذن وكان اثقل الأيام مرورا ثم جاء سليمان الى وهدان وكان ولداه جالسين معه ··

ـ السلام عليكم ··

ـ وعليكم السلام ··

ـ كل عام وانت بخير ··

ـ وكل عام وانت بخير يا سليمان ··

ـ قم يا عم هات الورقة التى عندك ··

ـ أمرك ··

وعاد وهدان بالورقة واعطاها لسليمان ··

ـ خذ يا عم ·· ربنا يزيدك ··

ـ وانت خذ هذه ··

ـ ماذا ؟··

ـ لقد تعلمنا القراءة معا فى الكتاب اقرأ ··

وقرا وهدان فوجد بالورقة عقد شراء باسمه لعشرة أفدنة ملاصقة لأرضه ، وانتفض فى جلسته ··

ـ وهل انا مرابى يا سليمان ؟··

ـ اهدا واسمع ٠٠

ـ هدأت ٠٠

ـ فلوسك كانت جاهـزة معى من السـنة الماضية ولـكننى احببت أن أرد جميلك قلت اتاجر لك بها فان كسبت فالمكسب لك وان خسرت أردها اليك دون أن تعلم ، وقد كسبت وجاءنى جارك نجيب الجلطة يريد أن يبيع أرضه لأن ابنه الذى أصبح مهندسا يريد أن يبنى بها عمارة فى مصر ٠٠ وانظر الى الثمن تجده عادلا لا ظلم فيه ٠٠ استخرت الله واشتريت الأرض باسمك ٠

وانتصب سباعى واقفا واهوى على يد سليمان يريد أن يقبلها والمت بوهدان غصة أوشكت أن تضيع عليه فرحته بما صنع صديقه ٠٠ ما سباعى هذا ٠٠ لا عفة عند مقدرة ولا كرامة عند فرحة ٠٠ حسبى الله ونعم الوكيل ٠٠

حسبى الله ونعم الوكيل ٠٠

★ ★ ★

— ٤ —

في هذه السنوات البلهاء من حياة مصر كان ينبت في بعض المناطق مجرم يثير الذعر حوله يفتمى هـذا المجرم الى وجيه من وجهاء المنطقة بعقد شيطاني غير مكتوب ان يحمى الوجيه المجرم من الحكومة ويحمى المجرم أملاك الوجيه من المجرمين الآخرين ·· وشأن كل العقود الشيطانية يتجاوز مفعول العقد حدوده ويتستر الوجيه على المجرم تسترا لو حاسبه عليه قانون العقوبات لأصدر عليه احكاما قاسية ·· وفى مقابل ذلك يصبح المجرم أداة بطش وعدوان للوجيه يخيف به كل المقيمين حوله مجرمين كانوا أو غير مجرمين · وما هو الا يسير زمن حتى تصبح أعمال الوجيه بواسطة مجرمه كلها اعتداء على حقوق الآخرين لأن سمعته وحـدها كافية أن تذود عنه أى مجرم يفكر أن يمس حقوقه · ويصبح الريف غابة، السيادة فيها لمن لا ضمير له · وهذا نوع من الغابات فريد · فغابة الحيوان غابة تجمع مخلوقات بغير عقول ومن لا عقل له لا ضمير له فمن الطبيعي ان يكون الحكم فيها للأقوى ومن الطبيعي أيضا ان تكون الوحشية هي الدستور فبغيرها لن تطعم الحيوانات ولن تجد ماكلها وهذا في ذاته سبب كاف ان تستعمل قوتها لتعيش ·

اما غاية الانسان فهى بعيدة عن ذلك كل البعد فاذا كان الحيوان قد حرمه الله حق الاختيار فانه سبحانه قد فرض على الانسان هذا الحق بما وهبه من نعمة العقل ومن نعمة الرحمة ومن نعمة المشاعر الرقيقة ، وكان طبيعيا مادام العدل المطلق قد وهب للانسان كل هذه الحقوق أن يفرض عليه واجب الأمانة التى عرضها على السماوات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان .. وهو سبحانه حين حمله هذه الأمانة الثقيلة فرضها عليه حين اختار هو ان يقبلها فحين خلق الله آدم طلب اليه الا يمس شجرة من الجنة .. وما شجرة فى جنة عرضها السماوات والأرض .. فحين عصى آدم ربه اختار اذن أن يحمل الأمانة .. ان الانسان كان ظلوما وهكذا ظل .

قليل من وجهاء الريف من كان يضع تحت حمايته مجرما أو عددا من المجرمين ففى كل منطقة قد تجد واحدا من هؤلاء الوجهاء غير الوجهاء فى الدنيا أو فى الآخرة وغالبا ما تكون المناطق نقية منهم كل النقاء تسمع عنهم فى الجهات المجاورة ولكنها لا تعرفهم ولا تشتهى ان تعرفهم . بل ان الجميع يدعو الله ان يبعدهم عنهم ويعمى عيونهم عن بلادهم وأملاكهم وأرواحهم . فهم يعرفون عنهم كل شىء معرفة يقين . ويعرفون أنهم متوحشون يستأجرهم سادتهم لقتل من يجرؤ أن يناقشهم فى أمر أو يتوانى فى تنفيذ اشارة اصبع تصدر عن ذلك الوجيه غير الوجيه .

وكانت بلدة الصالحة متطهرة من هذا الوباء وكانت كل صلتهم به ما يسمعونه عن أبو سريع الفرحان ذلك المجرم الدموى الذى يأوى بعصابته الى ظل عز الدين بك المتولى عضو مجلس النواب من الدائرة التى تتبعها الصالحة - وكانت الصالحة ترد

عن نفسها العدوان بأن تعطى أصــــواتها لمــز الدين متظاهـــرة بالطواعية حتى لا يكون هناك أى مبرر أن يقترب منها أبو سريع • والبلدة لم تكن متحمسة لمرشح آخــر فهى لا تجـد بأسا أن تنتخب حامى المجرمين هذا مرتئية أن فيما تفعله كياسة لا تضيرها •

وفى يوم كان وهدان جالســا الى اسرته جميعا أما الأم فقد كانت تصلى وكان وهدان يقرأ القرآن وكانت فاطمة تقرأ فى كتاب اشــتراه لها أخوها خليــل وعابده تنظـــر الى الجميع وترى فى وجوههم القــلق الشــديد الذى يحــاول كل منهم أن يخفيه بشتى وسائل حتى لايثير بقلقه قلق الآخرين • ولم يكن عجيبا أن يتولاهم هذا القلق • فخليل هو أملهم أن يصبح لهم شأن فى حياة العــلم بعد أن ترك سباعى المدرسة وهو بعد طفل فى العاشرة فلم يتعــلم منها الا قراءة وكتابة توشك أن تكون عاجزة • أما خليل فقد مضى فى التعــليم مضيا موفقا وكان متقــدما فى دراسته دائما • وهم اليوم ينتظرون نتيجة التوجيهية التى حملت اسمها هذا لأنها تعطى لحائزها الحق أن يتوجه فى التعــليم الجامعى الى الكليـــة التى يختارها فهى نهاية التعليم العام أو هى بلغة وزارة المعارف نهاية التعليم الثانوى •

كان الأب والأم والابنتان جميعا فى هــذا القلق الذى تشعر به عابده وتراه على وجوههم • وكان سباعى كشأنه بعيدا عن قلق الأسرة وعن اجتمــاعها هــذا بل هو حتى لم يكن يدرى أن نتيجة شــهادة التوجيهية ستظهر فى هذا اليوم فهو دائما فى شأن يظن انه يغنيه وهو دائما بعيد عن اسرته ومشاعرها بما يشغل به نفسه من شواغل منها الأرض والمحصول ومنها غير ذلك •

كان في يومه هذا يلبي دعوة على الغداء دعاه اليها شعبان الخولي بن عز الدين الخولي الذي تعرف به منذ قريب في مقهى بالمركز . واراد شعبان أن يظهر ابن وهدان على القصر الذي ابتناه ابوه بقريتهم العدوة واراد أيضا أن تصل بينه وبين ابن الرجل الذي يعتبر اغنى من في الصالحة اسرة عريقة فقد كان شعبان أيضا ممن نكصوا عن التعليم شأن سباعي . وكما يلتقي الفلاح بالفلاح فيتناجيان ويتعارفان ويجدان شيئا دائما يقولانه يلتقي الغريبان فيتناجيان ويتعارفان ويجدان شيئا يقولانه فيصبحان صديقين . ولكن لابد لنا أن نكون منصفين فان يكن شعبان وسباعي قد فشلا في المضي قدما على درج التعليم فقد كان كل منهما فلاحا من الطبقة الاولى يعرف ما تحتاجه الأرض ويقدمه لها في كرم ومهارة وحذق واثقين ان الأرض خير شيء يرد ما يأخذ اضعافا مضاعفة . وقد كان وهدان يجد في قدرة سباعي الفائقة على رعاية شئون الأرض ما يعزيه عما جبل عليه من خلق لا يرضيه . ولكنه شأن الناس أجمعين كان يتلمس لطف الله فيما يصاب به وقد وجد لطفه سبحانه في براعة سباعي الزراعية وراح يقول لنفسه ربما أراد سبحانه أن يجعل منه حارسا على الأرض يرعاها من بعدي لأخوته عني . وان كانت غصة تلوى عزاءه بعض الشيء .. اتراه سيحرسها أم سينهشها . الله وحده يتولى عباده بما يرضاه .

كان سباعي اذن يلبي دعوة شعبان وقبل ان يأتي الغداء جلس الضيفان في غرفة الاستقبال الواسعة الأرجاء وقال سباعي :

ـ ما سمعنا عن سعادة البك والدك ولا عن سعادتك الا كل كرم .

ـ ارايت بخلا ؟

ـ نعم رايت

ـ ولكن الأكل لم يظهر بعد

ـ فلعمة جبن تنبىء عن الكرم فى كثير من الأحيان ·

ـ فماذا تقصد ؟

ـ انتغدى وحدنا ؟!

ـ آه ·· انا اردت الا يشاركنا احد الحديث ·

ـ وهل يحلو الحديث الا باللمة ·

ـ ومن تريد ·

ـ اين ابو سريع ·

ـ والله هو هنا اليوم ·

ـ فلماذا لم تدعه معنا ·

ـ أدعوه ان بيته قريب ·

ـ لابد ان يكون بيته قريبا ·

وضحك شعبان وقال سباعى :

ـ ادعه يا شعبان بك وادع رجاله واللقمة الهنية تكفى مية ·

وجاء ابو سريع وعرف ان الذى دعاه هو سباعى وحمد هذا له فما كان يتناول طعامه على مائدة عز الدين بك الا عندما يكون هناك امر جليل يريد ان يكلفه به اما شميان فما كان يهتم بدعوته مكتفيا بان يعطيه من حين لآخر بعض المال ٠



حين عاد سباعى الى البيت وجد الكثيرين امام بابه ووجد الدوار مبتسما فرحا ٠ وعجب ٠٠ انه هو فرحان ثم ان تغدى مع شميان وابو سريع ورجال ابو سريع ولكن ما هذا الفرح فى بيتهم ٠ وعرف ان اخاه حصل على التوجيهية والعجيب او ربما ليس عجيبا ان يشعر بالفرح ٠ فخليل بهذا قد اصبح من اهل الكتب وليس لهؤلاء صبر على الفلاحة ٠ لقد تاكد فى لحظة علمه ان اخاه ذاهب الى الجامعة والى كلية الطب ٠٠ ان ارض ابيه اصبحت له وحده من بعده ٠

وعجب الأب من فرحة سباعى وربما خامر ذهنه ما اختلط بنفس سباعى فقد علمته الحياة ان يصل من النفوس الى ابعد اعماقها ٠ ولكنه بمشاعر الأب الذى يمتزج حب الأبناء مع الدماء فيها نفى ان يبلغ الجشع بابنه البكر هذا المدى ٠٠ وابى الا ان يسعد فى يومه هذا سعادة لا يقف بها عارض من اى مكان سواء كان هذا العارض من داخل النفوس او من خارجها ٠



— ٥ —

حين عرف وهـدان من سـباعى انه دعا شعبان وأبو سريع ومجرميه الى الغداء بالبيت غضب كل الغضب ·

ـ هذا بيت عاش طاهرا واحب ان يظل طاهرا ·

وكان سباعى فى دهشة من امر ابيه فقد كان يظن انه سيفرح غاية الفرح ان ابن عز الدين بك قبل الغداء عنده ·

ـ يا ابا انه بن عز الدين بك ·

وازداد ذهول سباعى وابوه يقول له :

ـ طظ ··· وما عز الدين بك بتاعك هذا ··

ـ يا ابا عز الدين بك كبير الناحية ·

ـ بالاجرام والقتل والاعتداء على حرمات الله والناس ·

ـ رجل عتره ·

ـ عند من لا يخافون الله امثالك • انما فى الحقيقة هو ليس رجلا اصلا ••

ـ ليس رجلا ••

ـ الرجل هو الذى يشق الحياة الى الآخرة بطاعة الله لا بعصيانه وباحياء البشر لا بقتلهم ومن قتل انسانا واحدا فهو عند الله كمن قتل الناس جميعا •

ـ انظر يا أبى الى الثروة التى كونها •

ـ بسيطة

ـ مائتا فدان من لا شىء بسيطة

ـ والف والفان بسيطة مادامت وسيلته القاء الذعر فى قلوب الناس والاستيلاء على حقوقهم بالباطل •

ـ على كل حال يا ابا انا لم ادعه •

ـ دعوت ابنه ودعوت المجرمين الذين يعملون لحسابه

ـ اريد ان يكون لنا قيمة فى البلدة وفى الناحية

ـ فشرت انت وضيوفك جميعا •• ان قيمتنا فى قلوب الناس اعظم منهم الف مرة

ـ يا ابا انه نائب الدائرة

ـ بالرعب والقهر وليس بالاختيار ، ولو ملك الناس أمر انفسهم دون خوف لأختاروا أى شخص يمثلهم فيكون تمثيله لهم شرفا وقيمة •• يختارون متعلما او يختارون شريفا لا لصا ولا قاتلا •••

ـ فما لمترلم الناس هذا

ـ الا تعرفه وتعرف من أين يصدر من نفوسهم

ـ انهم يهابونه

ـ انهم يخافونه ٠ وانهم لا يحترمونه ٠ انمـا الاحترام هو ذلك الذى تنطوى عليه نفوسهم بحريتها المطلقة وليس بما يخشونه منه اذا هم حجبوا عنه احترامهم ٠ ان اخاك خليـل محترم بعلمه فى بلدتنا اكثر من عز الدين هذا الذى تتشرف بمعرفة ابنه وبدعوته الى الغداء عندك

ـ خليل اخى ٠ لا يا أبا شرع الله عند غيرك

ـ بل هذا هو شرع الله والناس أما شرعك انت فشرع الشيطان المسعور من بنى آدم ٠

ـ والآن ماذا ترى

ـ وهل تركت لى رأيا ٠٠ لقد دعوت فعلا ولا احب أن اجعـل منك طفلا امام الناس

ـ مصيبة سوداء لو عرف عز الدين بك رأيك فيه

ـ أو يشرفك هذا ٠٠ نعم فعلا مصيبة سوداء ٠٠ ومعـرفته مصيبة سوداء أيضا ولهذا كنت أرجو أن الضى الأيام الباقيـة لى لا اعرفه ولا يعرفنى

ـ الحق على يا أبا

ـ حين اموت أخاف أن يكون عز الدين وأمثاله هم مثلك الأعلى

وأوشك سباعى أن يهتف : ياليت ، ولكنه كتمها وسأل أباه :

ـ أتحضر معنا الغداء يا ابا

ـ وانا ما شأنى

ـ انه بيتك

ـ بل بيتك مادمت دعوت فيه فأنت تعرف انه بيتك وان لك هذا الحق لا انازعك فيه وانما أغضبنى اختيارك لمدعويك · ولكن الأمر لله ···

★ ★ ★

حين استقر المقام بشعبان ورجال ابيه فى الدوار أصبح الدوار فجأة خلية نحل وراح كل من يعمل فى البيت يعد العدة للغداء · وتسامع أهل القرية جميعا بهذه الدعوة فتولاهم نحو سباعى ذلك الشعور العجيب الذى يجمع بين الخوف والرهبة والاحترام المرتعد · ولم يحاولوا أن يضعوا الحدود الفاصلة بين هذا النوع من الاحترام وبين ما يكنونه لوهدان من احترام فيه حب وفيه تقارب ومودة ·· لقد تعودوا ان يكتموا ما يعتمل فى نفوسهم نحو عز الدين ومجرميه ، وأصبحت هذه العادة منهم طبيعة لا تناقش ولا يحلل مداها انسان ولا يحاول أحد أن يتقبع جذورها · هم فقط أحسوا أن سباعى أصبح شخصا مهما لانه دعا ابن عز الدين وأبو سريع ورجال ابو سريع وقبلوا الدعوة ·

تناولوا الغداء وضمتهم حجرة الاستقبال في الدوار مرة اخرى وقد كان الدوار شأن امثاله في بيوت الاعيان بعيدا عن الدار موصولا بها في وقت معا · فهو جلسة الرجال وليس له بحرم البيت وحريمه صلة الا ان ياتيهم منه المطعم والمشرب ثم لا اتصال ·

قال شعبان وقد انتفش على الكنبة مزهوا بمكانة ابيه :

ـ مبسوط يا سباعي

ـ رضا والحمد لله

ـ الحمد لله على كل حال ولكن لماذا الرضا

ـ يا سلام اتكون مشرفا عندي انت وهؤلاء الرجال السباع ولا يكون الحال رضا ··

وضحك الجميع ·

وقال ابو سريع معلقا على السباع :

ـ يا سباعي

وعلا الضحك مرة اخرى · اما رجال ابو سريع فلانهم لابد لهم ان يضحكوا مادام ابو سريع يضحك · واما شعبان وسباعي فليفهما ابو سريع انهما فطنا الى قفشته وتلاعبه بالسباع وسباعي وسرعة خاطره ايضا · ولكن شعبان يقول مواصلا حديثه :

ـ يا حبيبي انا اسالك هل انت مبسوط في حياتك

ـ وهي ايضا رضا والحمد لله

ـ ماذا

ـ وماذا اريد أحسن من هذا اكل شارب نايم أشوف أرضي ابي وانتج منها أحسن محصول ماذا اريد أحسن من هذا

ـ وهل هذه عيشة

ـ وما العيشة ؟

ـ تعال معي الى مصر وانا أعرفك العيشة على حقيقتها

ـ يا سلام !

ـ رحت مصر ؟

ـ طبعا

ـ اين ذهبت ؟

ـ زرت المشايخ وزرت اقاربنا هنـاك واصدقاءنا ودخلت السينما ورحت الى المسارح وشفت كل حاجة في مصر

ـ دخلت كباريه ؟

ـ كبا ... وماذا ؟..

ـ كباريه

ـ آه .. لا .. سمعت عنه فقط

ـ سمعت عن ماذا ؟

ـ يقولون عن الاوبرج وشيء آخر اسمه الاريزونا

ـ يقولون

ـ سمعت

ـ ولم ترِ ؟!

ـ الكذب خيبة ·· لا لم أر

ـ فانت لم تر مصر

ـ أهذه هى مصر

ـ عندى أنا ·· أنا يا بنى حين اذهب الى مصر لا شأن لى لا بالقارب ولا بغيره · كم صاحب اعرفهم أصل الى بيتنا هناك وأدور عليهم بالتليفون وعينك ما تشوف الا النور ·

ـ واين هذا النور

ـ فى الاوبرج

ـ اتذهب الى الاوبرج

ـ ولا أحب غيره ·· جربت كل كباريهات مصر · لم يملأ عينى الا الأوبرج · الملك يذهب الى هناك

ـ شفته ؟

ـ مرة

ـ واحدة ؟

ـ كفاية

ـ ما شكله ؟

ـ سمين وضخم ‥ انما الحق له هيبة

ـ ملك ‥ ملك يا عم ملك ‥ الامور عندنا يهز الهيرية شف ملك ماذا يفعل

ـ ليس هذا هو المهم

ـ الملك ليس مهما !!

ـ هناك ليس مهما بالمرة ٠ المهم اشياء اخرى

ـ مثل ماذا

ـ اسمع يا عم انا رجل أحب العمل ولا احب الكلا

ـ ولكننا الآن لا نملك الا الكلام

ـ فشر ونملك العمل ايضا

ـ كيف

ـ انا مسافر الخميس القادم ‥ تجيء معى ؟

ـ أجيء

ـ صحيح ؟!

ـ وهل الاقى فرصة أحسن من هذه

ـ اتفقنا

ـ اتفقنا

★ ★ ★

حوت غرفة الاستقبال فى المساء قوما آخـرين فقد تصدرها وهدان كشأنه كل ليلة والتأم حوله أصدقاء جلسته يكادون لايتغيرون فى ليلة عن الأخرى فأغلبهم تعود هـذه الجلسة والحديث بينهم متصل منذ سنوات وفى ايام أم كلثوم يعدون العـدة لسماعها فى راديو وهدان وقد كان الاستماع الى الراديو لمدة طويلة يحتاج أن يذهب احدهم بحماره الى المركز فى اليوم السـابق ليملأ البطارية الشبحنة فهى بطـارية سيارة ويعود بها فى اليوم التالى ، ولم تكن أم كلثوم تغنى فى هذه الليلة وانما هو الحديث .. حديث فى كل شىء . واحيانا كان يلم بالجلسـة أصدقاء غير منتظمين اما ان يكونوا أصحاب مصلحة يريدون قضاءها مع وهدان أو مع أحـد جلسائه او يكون قدومهم لمجرد السمر والحديث . وفى هذه الليلة جاء الى الجلسـة عبـد الحميد أبو ديده الذى توقف عن العمـل كخياط للقرية تاركا الصنعة لابنه بعـد أن أوهنه الكبر . وأصبح لا يخرج من البيت الا فى القليل النادر وكانت تنعقـد فى بيته هو أيضا جلسة مثل جلسة وهدان هذه . فلم يكن غريبا ان يكون المامه بدوار وهدان نادرا وقد اوسعه وهدان ترحيبا . وقد حرص سباعى أن يحضر الجلسة ليرى نفسه موضع الاكبار والتقدير بعـد دعوة الغداء التى عرفت القرية جميعا بشأنها . وما هذا بعجيب فان أى دعوة فى القـرية هى حـديث القرية جميعا . ولكن مجىء شعبان ورجاله أمر يعرف سباعى انه هز القرية كلها من الأعماق . وتهيأ سباعى لسماع كلمات التقدير على دعوته تلك . وقد رأى فعلا نظرات الاحترام ماثلة فى اعين معظم أهل الندوة وحين بدأ الحديث بدأ بطبيعة الحال عن مجىء شعبان وابو سريع فاذا وهدان يقول فى هدوء وفى حسم :

ـ اذا تكلمتم فى شأن هذه الدعوة فاسمحوا لى أن انصرف .

وانقطع الحديث عنها تماما واحس سباعى لذعة اسف انه لم يتمتع بما كان يهفو الى التمتع به · والتوى الكلام الى غير هذا مما تعودوا ان يأخذوا فيه · وما هى الا بعض الساعة حتى استاذن عبد الحميد ابو سيدة وقال وهدان :

ـ لماذا يا عم عبد الحميد · لم نشبع منك يا رجل

ـ عملك كبير يا وهدان ··· انا حتى فى دارى اترك ضيوفى كل ليلة يكملون حديثهم واقوم انا ويعذروننى يا ابنى ·· كبرنا يا وهدان

ـ انت الخير والبركة · أوصل عمك عبد الحميد الى بيته يا سباعى

ويقول عبد الحميد فى صوت من يرغب فى هذا التكريم الذى تعود عليه والذى جاء فى هذه المرة املا ان يحدث

ـ وما لزوم التعب

ـ تعبك راحة يا عم عبد الحميد

ويصيح سباعى راجيا ان يسمع من عبد الحميد ما فوته أبوه عليه من تكريم

ـ تحت امرك يا عم عبد الحميد

وما يكاد الطريق يخلو بالاثنين حتى يقول عبد الحميد :

ـ لقد جئت اليوم خصيصا من اجل خلوتنا هذه

ـ خيرا يا عم عبد الحميد

ـ انت دعوت اليوم شعبان

ـ حصـل

ـ اخطب أخته

ـ ماذا ؟!

ـ ما سمعت

ـ وهل هذا معقول يا عم عبد الحميد . بنت الباك تقبلنى أنا !

ـ وانت ما عيبك ؟!

ـ على الاقل يقولون لم يتعلم

ـ وهل تعلم ابوها او اخوها أو تعلمت هى انما هما كلمتان عرفت بهما كيف تفك الخط

ـ انا والحمد لله مستور فى القرية ولكن بالنسبة لعز الدين بك أنا فقير

ـ ولا فقير ولا حاجة

ـ كيف .. واين ما املك مما يملكون . وايجاراته من الاوقاف وحدها تدر عليه دخلا قدر دخلنا مائة مرة أو قل مائتين

ـ اسمع ما اقول لك .. اخطب اخته

ـ ان رفضوني ستكون سببه

ـ لن يرفضوك

ـ وانت كيف عرفت

ـ هذا شأني

ـ فقط قل من أين عرفت

ـ من سنني الكبيرة .. من الزمن .. من الناس الذين عرفتهم .. اسمع كلامي يا ولد .. انا في مكان جدك ومن سنه أيضا

ـ اذا تمت هذه الزيجة يا عم عبد الحميد لا ادرى كيف اكافئك

ـ انت يا ولد تكافئني .. أنت يا ولد ابن وهدان وأبو وهدان عاش عمره كله على باب دكاني ، أتظن انني جئت اليك لكي تكافئني وماذا اصنع بمكافاتك هل سآخذها معي الى الآخرة . ان اردت أن تكافئني حقا فاني أوصيك بابني حسن فهو قليل الحيلة وأنا لم اترك الا ثلاثة افدنة دفعت فيها عيني وانكفائي على ماكينة الخياطة عشرات السنين

ـ ربنا يطيل عمرك يا عم عبد الحميد وحسن في عيني الاثنين

ـ يكفيني هذا . ارجع انت . سلام عليكم

★ ★ ★

— ٦ —

لا يكون الحــلم الا من تجارب الانســان ومن ســابق خبرته فالأحلام على هذائها وبعــدها عن العقل تخاطب النــاس على قدر خبراتهم . هى قد تخلط هذه الخبرة وتقلب موازينها وتجعل اعاليها اسافلها وأسافلها اعاليها انما تظل بالنسبة للانسان الذى تعــرض له فى حدود ما عرف من واقع الحياة ، ولذلك يستطيع المرء غالبا أن يعبر عنها ويروى ما عرض له فى احــلامه اذا كان منتظما أو يعزوه الى خرف النوم أو فقد انتظامه وتتابعه .

اما هـــذا الذى يراه سباعى فلم يخطــر له على حلم ابدا وما تصور ان تضم جنبات الحياة شيئا مثل هذا الذى يشاهده من راقصات الاوبرج . عرايا صــدورهن أو عــرايا جسومهن جميعا الا موقعا أو موقعين الغطاء فيهما أخبث من العــرى وما ان افاق هونا من ذهوله حتى التفت الى شعبان :

ــ اهؤلاء نسوان

وانفجر شعبان فى قهقهة عالية ليست غريبة ممن يحويهم هذا المكان وقال :

ـ طبعا نسوان

وظل سباعى فى بهره وهو يقول :

ـ مثل نسوان البلد عندنا

واستمرت القهقهة يختطف من شهيقها الاجابة

ـ ماذا ترى انت ؟

ويقول سباعى فى جدية حاسمة لا اثر فيها لمزاج :

ـ ألنسوان عندنا خضراء

ويقول شعبان بعد ان هدأت ضحكاته

ـ لعلك لم تراهن الا فى مواطن الجد

ويقول سباعى فى جديته لا يزال

ـ رأيتهن فى كل المواطن .. خضراء .. خضراء فى اكثر المواطن خلاعة

ـ لعلك لم تحسن الاختيار

ـ وهل هى واحدة .. انهن كثيرات عرفتهن .. وكلهن خضراء

ـ فما رأيك انك لم تر شيئا بعد

ـ مـا أرى يكفى ·· يا رجـل انا اتعجب من نفسى كيف لم يغم على

ـ لا ·· لجمد ·· الليل مازال طويلا أمامنا ··

ـ وماذا ستعمل فيه أكثر من هذا

ـ هذا شأنى

ـ انا تحت أمرك ·· عبدك وبين يديك

ـ أولا تشرب هذا الكاس

ـ وما له أشربه ·· هه بسم الله الشافى المعافى

وهم ان يقلب الكأس جميعه فى فمه مرة واحدة ولكن شعبان اسرع فامسك بيده

ـ لا ·· انتظر ·· ليس هكذا

ـ فكيف اذن

ـ رشفة رشفة ·· اتريد أن تنقلب منا فى الاوبرج

ـ أمرك

ـ حين ينتهى الكأس أو الكأسـان ·· وليس اكثر سترى ما لم تره حتى الآن ··

وانتهى سباعى من شرب الكأسين فى بطء الجاهل الذى لاخبرة له وبدأت المناظر التى يراها تصـل الى أعماق كيانه وتصـاعدت

الحميا الى مكامن الشعور فيه فاذا هو يعيش حياة غير الحياة حتى ليحسب انه لم يولد الا فى هذه اللحظة وحين ادرك شعبان ما صار اليه حال صديقه سأله :

ـ وما رأيك اذا قلت لك انك ستقضى الليلة مع واحـــدة من أولئك الراقصات ٠٠

وفى وقار متحتم سأله :

ـ وماذا أصنع معها

وحينئذ انفجر شعبان مرة أخرى فى قهقهة عالية وراح يقف ثم يقعد والقهقهة على حالها حتى اذا استطاع أن يلتقط انفاسه قال لسباعى :

ـ كان يوم هنا يوم عرفتك

اما اصحاب شعبان فكانا اثنين وقد اتخذ كلاهما موقف المشاهد سعيدين غاية السعادة بهذا المخلوق الجديد على المكان والجديد على هذه الحياة جميعا ولكنه عندما سأل شعبان سؤاله الأخير هذا كانا أشد صخبا من شعبان وسأله أحدهما وكان شعبان يدعوه كريم :

ـ الم تقل انك عرفت نسوان كثيرات فى البلد ٠٠

وفى نفس النغمة الوقور المتحتمة قال سباعى :

ـ ياسى كريم افندى اسم الله على مقامك النسوان اللواتى عرفتهن شىء والنسوة هنا شىء آخر بالمرة لم يرد صنفه على مطلقا ولم يخطر لى على بال ان فى العالم نسوانا بهذا الشكل ٠٠ بالتأكيد هؤلاء صنف آخر من الناس لا أعرفه انا ولا ابى

وتتم الليلة كما ينبغى ان تتم مثل هذه الليالى ويحس سباعى انه بهذه الليلة اصبح من طبقة اخرى غير طبقة اهله ولكن العجيب ان سباعى مع كل هذه المتعة التى شعر بها والتى اوغلت فى العميق من كيانه كان يدرك ان مثل هذه الليالى انما هى لهو يتمتع بها من يحبها ليلة كل شهر او ليلتين ولكنها لا يمكن ان تكون حياة باكملها كما كان يعتبرها شعبان ٠ كان الأمر بين الاثنين مختلفا كل الأختلاف فقد كان شعبان لا يريد من الحياة الا هذه الحياة ٠ وكان عمله فى الارض عمل مرغم لا راغب مدركا ان اباه سيغضب عليه موارد المال اذا هو لم يقم بواجبه كفلاح يعينه على زراعة الأرض الواسعة بما يستاجر من الاوقاف ٠ اما سباعى فقد كان يرى فى الزراعة حياته ويرى فى مثل هذه الليلة لهوه ٠

كان من الطبيعى أن تتوطد العلاقة بين شعبان وسباعى وتكاثرت الزيارات بينهما ٠ وفى يوم حزم سباعى أمره بعد أن فكر وأطال التفكير وتدبر الأمر مع نفسه فأحكم التدبير وقصد الى شعبان فى بيت ابيه ٠

ــ انا احببتك حبا لا تدرى قدره

ــ هذه مقدمة لشىء تريد أن تقوله

ــ اى نعم

ــ قل

ــ اريد ان أكون قريبك وصاحبك

ــ فهمت

ـ وما رأيك

ـ لابد أن أتأكد من صحة فهمي أولا

ـ أنت تفهمها وهي طائرة

ـ يكون أحسن لو قعدت

ـ أخطب إليك الست أختك قدرية

ـ هل شفتها

ـ شفتك أنت

ـ على كل حال أسأل أبي

ـ طبعا

ـ ولكن لابد أن تشوفها

ـ ومن غير شوف

ـ لابد

ـ أمرك ... كيف ؟

ـ هذا أمر ميسور . والحقيقة أنا أفضل أن تشوفها قبل أن أكلم أبي

ـ كيف ؟

ـ حتى يتكلم أبوك بعد ذلك وتجري الأمور في طريقها الطبيعي

ـ ولكن معنى كلامك انك لا ترفضنى

ـ انا لا أملك الرفض أو القبول

ـ اعرف ذلك ولكن معنى أن تسمح لى برؤية الست أختك ان الامر ليس بعيد الاحتمال

وتنبه شعبان الى الموقف وسارع يقول :

ـ انا لا استطيع أن اقول شيئا مطلقا . وانا اسمح لك برؤية أختى لانى اعتبرك أخا . واحب اذا فاتحت ابى فى هذا الموضوع ان اكون واثقا انك جاد فيه . لأن التقدم منك ثم الرجوع مسألة قد تسيل فيها دماء

ـ انا اعرف تماما وظيفة ابو سريع عندكم . ولا أحب ان أكون انا او يكون ابى من بعض مهام وظيفته

ـ اذن تراها

ـ ياليت .. متى ؟

ـ الآن

ـ كيف ؟

ـ اسمع .. اخرج من الباب الأمامى قدام الخدم ولف وعد لى من باب الشرفة ..

ـ أمرك ..

وخرج سباعي وعاد وفتح شعبان حجرة مجاورة وادخله فيها:

ـ سأنادي قدرية وأنت تستطيع أن تراها من هنا وسأجعلها تقعد بحيث لا تراك فحين تراها وتسمعها روح الى بيتك من هذا الباب الذي يخرج من الشرفة الى الحديقة الى الخارج ·

ووجم سباعي قليلا وقال :

ـ وكيف سأقول لك اني وافقت ؟··

ـ قلها بكرة · لا أريد أن اعرف رأيك اليوم على كل حال ··

ـ أمرك ··

ودخل سباعي الحجرة وأبقى شعبان بابها نصف مفتوح حتى اذا رأته قدرية حسبت أنه نصف مقفل وانه ترك هكذا عن اهمال لا عن عمد ··

ونادى شعبان من بهو البيت الأسفل :

ـ قدرية ·· قدرية ··

ـ نعم يا شعبان فيه حاجة ؟··

واطلت عليه من أعلى فقال :

ـ ماذا تصنعين ؟

ـ لا شيء ·· اسمع الفونوغراف ··

ـ انا زهقان ·· لماذا لا تحضرين الكوتشينة وتجيئين نتسلى؟

ـ حاضر .. جاية ..

وجاءت وراها سباعى وفهم كل شىء ..

★ ★ ★

هى النتيض الكامل للنسوة اللواتى خبلن عقله بجمالهن فى الكباريه هى الطرف الآخر من جمال الخليقة .. اذا كان سبحانه قد خلق النسوة الجميلات ليرى عباده بديع صنعه فهو سبحانه جلت قدرته قد خلقها ليعرف عباده شديد سخطه .. اذا كان هناك من لا يصدق انه سبحانه قادر على خلق الجنة والجحيم فليضع قدرية الى جانب اى جميلة من جميلات اى مكان سواء كان هـذا المكان هو الأوبرج او حتى قرية الصالحة .. وحينئذ ستتمثل له فى الفتاة الطبيعية الجنة كل الجنة وفى قدرية الجحيم غاية الجحيم . سبحانه انه على كل شىء قدير ..

لهذا قال له عبد الحميد ابو ديدة اخطبها ولهذا لم يرفض شعبان فكرة زواجه بها رفضا قاطعا من اول وهلة وان كان قـد دهش من رد الفعل الذى استقبل به شعبان طلبه ، وان كان قـد ذهل لأن شعبان جعل الأمر قابلا للاتمام وان كان قد ازداد ذهوله حين وجده يسـارع الى اتاحة الفرصة له ان يرى اخته ، فان الدهشة والذهول الآن لا مكانٌ لهما فهو بالنسبة الى الحالة التى راها فرصة لا تعوض لعز الدين بله .. فلا شك ان اباها وامهـا واخاها لم يكونوا يأملون ان تتزوج اكثر من عامل زراعة فى املاكهم ويكون العامل مظلوما .

كيف استطاع فمها أن يكون بهذه السمة وكيف استطاع انفها ان ينفرش لينال من وجنتيها ـ اذا كان لها وجنتان ـ كل هـــذه

المساحة .. وكيف استطاع هذا الوجه المسحوب كعلامة تعجب أن يسع كل هذا الفم وكل هذا الأنف .. وهى تغطى شعرها بمنديل ولكنه شعر متمرد صاخب يرفض المنديل ويقذف به الى أعلى ليجعل منه طرطورا . وكل هذا يهون اذا تركز البصر من الناظر على ذقنها انه مقذوف الى اعلى يوشك أن يغلق الفم وربما كان هذا هو السبب فى نحافتها المفرطة .. فلا شك ان فمها يجد مشقة عاتية فى أن يلقف اللقمات ..

لقد وعى سباعى قبح الفتاة وعيا كاملا ولكن العجيب فى أمره انه ازداد اصرارا على الزواج بها فقد أدرك لحظة رآها أن الزواج بينهما متكافىء بل ان أسرتها هى الكاسبة فيه لأنهم لا يعرفون ما يفكر فيه هو .. الزواج متكافىء لا شك .. هى قبيحة كل القبح وهو فقير بعض الفقر .. فهو مقبل اذن على الزواج فى عزم واصرار ازدادا ولم ينقصا .. وهو فى اقباله هذا غير مرغم ولا مضطر فانه يستطيع اذا لم يكن يريد للزواج ان يتم أن يذهب من غده الى شعبان ويحدثه فى حديث آخر غير هذا وسيفهم شعبان وسيعذره .. فهو مصمم .. وهو مصمم أيضا أن يكلم شعبان أباه حتى يكون وهدان مضطرا لاتمام الزواج ، وقد كان سباعى مقدرا لهذا الأمر منذ دبر امره قبل أن يفاتح شعبان فى شأن الخطبة - فهو يعلم حرص أبيه وهدان على أن تعيش أسرته بعيدة عن كل المشاكل فاذا هو امتنع عن اتمام الخطبة فالويل الآخذ والانتقام الوبيل ..

وقد كان سباعى واثقا انه حين يطلب من أبيه ان يخطب له ابنة عز الدين سيرفض رفضا قاطعا كما كان واثقا أنه سيقبل أن يخطبها له على رغم أنفه اذا اخبره أن شعبان فاتح اباه فعلا فى الأمر وانه قبل .. قدر سباعى هذا جميعا واقدم على هذا الحديث مع شعبان ...

وفى الصباح الباكر كان سباعى واقفـــا بجانب شعبان فى الغيط :

ـ متى ترد على ؟

ونظر اليه شعبان مليا ثم قال :

ـ تعال الليلة فى البيت ..

★ ★ ★

انتظر سباعى حتى صحا ابوه من القيلولة وتوضأ وصلى صلاة العصر واستقرت به الجلسة على الاريكة وبجانبه نبوية ، وكان وهدان منشرح الصـــدر فهو يقول تلك الجملة التى كثيـرا ما يرددها :

ـ لقد كان قطع ذراعى بركة .. تزوجت به نبوية بعـد أن تاكدت من قطعه .. انها تحبنى لشخصى واعفانى الله من غسيل ذراعين فى كل وضوء مكتفيا بذراع واحدة .

وضحكت نبوية وهى تقول :

ـ اما زلت تتذكر زواجنا .. قد ان الأوان ان نفكر فى زواج ابنائنا ..

وقال وهدان :

ـ ما احب هذا الى ..

واندفع سباعى الذى كان يتربص بالحديث :

ـ صحيح يابابا ؟..

ـ صحيح جدا ..

ـ اذن فأنا اريد ان تخطب لى ..

ـ من ؟! ..

ـ قدرية بنت عز الدين بك الخولى ..

وهب الأب واقفا :

ـ من ؟! ..

وبلت نبوية صدرها وهى تقول :

ـ من ؟! ..

وقال سباعى :

ـ ماذا يا أبا .. ماذا ياأمه ..

والجمت الصدمة لسان وهدان وذهلت الأم بعض الحين ثم قالت :

ـ ولكن يا ابنى .. هل .. هل يقبلون ؟ ..

وابتسم سباعى وهو يقول :

ـ لقد قبلوا فعلا ..

وصاح الأب مرة أخرى وهو مايزال واقفا :

ـ ماذا ؟! ..

وقالت الأم :

ـ قبلوا .. اذن ..

ومات الكلام على شفتيها وارتمى وهدان جالسا على الأريكة معتمدا برأسه على ذراعه الواحدة مفكرا فى كل ما فكر فيه ابنه من قبل .. وتمت الخطبة وتم الزواج .

★ ★ ★

— ٧ —

اقام سباعى وزوجته فى بيت وهدان ·· ولكن وهدان لم يكن يطيق ان يكون البيت مزارا لعز الدين وابنه شعبان ·· وما كان يتصور أن أسرة كهذه تندمج مع أسرته ·· وما كان يدور بخيـالـه أن شعبان يمكن أن يدخـل الى بيته فى اى وقت من أوقات اليـوم وهجست نفسه أن شعبان ربما فكر فى الزواج من فاطمة او عابدة واذا مر هذا التفكير بذهن شعبان فهيهات لوهدان ان يرفض لأنه لم يكن يريد أن يموت مقتولا ·· فهؤلاء نفر مّن الناس لا يقف بهم نسب أو قرابة أن يرتكبوا أى جرم ·

سارع وهدان فابتنى بيتا لابنه سباعى ولم يشـعر ان كارثة زواج ابنه من ابنة هذا المجرم قد خفت حدتها الا يوم انتقل هـو وزوجته الكئيبة الى البيت الجديد ، ومهما يكن البيت قد كلفه فكل مال هين اذا قارنه بمصيبة زيارة واحدة من عز الدين أو اطلالة من شعبان على أخته التى تسكن فى نفس البيت الذى يعيش فيه مع نبوية وابنتيه ·

وكان التعليم قد انتشر في القرية انتشارا اتاح لفاطمة أن تجد شابا متخرجا في كلية التجارة هو حسونة الزيني خطيبها بعد أن تم تعيينه بالصعيد مراجعا لحسابات السكة الحديد بها ٠٠ولم يمر كثير من وقت حتى خطبت عايدة أيضا الى ياسين ضيف خريج كلية دار العلوم والذي عين مدرسا بالقاهرة ٠ وقد كان ياسين قبل أن يلتحق بكلية دار العلوم شيخا معممـــا نال ثانوية الأزهر ثم التحق بكلية دار العلوم وكان الأب والأم سعيدين غاية السعادة بهاتين الزيجتين ٠٠ وكان كلاهما يحمد الله أن عوضهما عن زيجة سباعي ٠

والواقع أن قدرية لم تكن في أخلاقها على هذا القبح الذي طبعه الله على وجهها وان كان بلوغ هذا القبح عسير المنال على أية حال ٠٠ الا أن الفتاة كانت رضية الخلق تعامل حماها وحماتها بكل اجلال واحترام ٠٠ وكان وهدان بحاسة العدل فيه وبمشاعر الأبوة يعلم أن قدرية لا ذنب لها فيما ركب عليه أبوها وأنها تزوجت برغبة منفردة من زوجها وبشعور بالسعادة من أبيها وأخيها أن وجدت انسانا أي انسان يقبل أن يتزوجها ٠

وهكذا كانت معاملة وهــدان ونبوية لقــدرية تتسم بالأبوة الكاملة وبالحنان الشفوق لا يفرقان بينها وبين ابنتيهما وكــانت هي تقوم مع أختي زوجها بشئون البيت في يسر ونعومة ٠ ولم يحدث في يوم أن اشتجر خلاف مهما يكن هينا بينها وبين أحد من أهل البيت جميعا ٠٠ حتى الخادمات اللواتي استقبلتها في وجوم وأسى لقبحها وليس لأي سبب آخر هن أيضا سرعان ما أصبحت عندهن واحدة من أهل البيت لا تختلف معاملتهن لها عن معاملتهن للست فاطمة والست عايدة ٠ والخادمات في الريف يألفن بنات الأسر

التى يعملن بها حتى لتصبح الصلة بينهن صلة اقرب الى الأخوة منها الى صلة سيد بمسود ·· فلم يكن غريبا اذن أن تفرح قدرية بخطبة فاطمة ثم عايدة كفرح البيت جميعا من سادة وخدم ·

وقد يتساءل الشباب ما هذا الزواج الذى تم بغير حب سبقه ولا لقاء ولا اتفاق بين العروسين ولو عرفوا الريف فى هذه الازمان لعلموا أن الزيجات التى كانت تتم على حب فى الأسرة المتوسطة تكاد تنعدم·ففتيات هاته الأسر لم يكن يخرجن من بيوتهن منذ اليوم الذى ينقطعن فيه عن التعليم بل ان الكثيرات منهن كن يتلقين تعليمهن فى البيت اذا كان الأب يريد لبناته ان يتعلمن · فالدائرة التى تتسع لسجنهن ضيقة غاية الضيق ولكن تفاصيل حياة كل فتاة ومدى جمالها أمر مشاع بين ابناء القرية جميعا · والخاطب حين يتقدم الى الخطبة يكون عالما بكل اسرار الفتاة التى يتقدم لها ولكن من غيرها وليس منها ·

فاحاديث القرية عن القرية · وامهات هـؤلاء الشبان يروين لهم كل شىء عن كل فتاة أو سيدة أو حتى طفلة فى القرية فينشأ الفتى وأبناء القرية جميعا فى كامل وعيه لا يغيب عن شاب من هؤلاء الشباب خبر عن أى فتاة من فتيات قريته ·

والأمر مختلف كل الاختلاف اذا كان الزواج من ابن فلاح يعمل فى الحقل وابنة فلاح آخر يعمل · فالفتيات فى هذه الفئة يخرجن كل يوم ليذهبن بالطعام الى ابائهن أو اخوتهن فى الحقول وهن يملأن الجرار وهن يشترين حاجات البيت فى أيام الأسواق فاذا كان الحب قد اندلع بين وهدان ونبوية حين كان الزمن مازال فى غيبوبة الجهل فهو مندلع أيضا والزمن قادم على نور العلم لان الفتيات

من مثيلات نبوية حين تزوجت مآزلن كشانها فى الايام الخالية من طفولتها وصباها وباكر شبابها •

ربما لو كان هناك شاب من اقرباء وهدان أو نبوية يتردد على البيت بصلة القرابة وشب حب بين هذا الشاب وبين واحدة من الفتاتين كان الأمر قد تغير • وقد كانت الفتاتان جميلتين وكانت كل منهما تمثل نوعا من الجمال الذى لا يختلف فيه اثنان وان كان هناك مجال لاختلاف فانه سيكون تقدير مدى هذا الجمال • كانت احداهما خمرية اللون ذات تقاطيع منسجمة لها انوثه جذابة وشعر مناسب فيه رخاء وسيولة ولين وكانت الأخرى عايدة شديدة البياض فى خديها حمرة واهنة وفى عينيها سواد داكن يتوسط بياضا ناصعا وفى شعرها عريدة حبيبة • كلتاهما ممشوقة القوام وكانت عايدة أطول من فاطمة قليلا ولكن لا يشتكى من فاطمة قصر ولا يعاب على عايدة طول •

فالفتاتان كانتا جديرتين أن تحبا • ولكن لم يكن هناك حبيب فالذين يرونهما من الرجال لا ترتقى آمالهن الى حبهن • وكلتاهما كانت تعلم انها ستجد الزوج اللائق بها فقد كانت كل منهما تعلم انها جميلة وان اباها ممن يألف الناس ويألفون وان امها قريبة الى مشاعر الأمهات فى القرية لم تمد يدها لاحداهن بغير المعروف والمكرمة • كلتاهما كانتا تجدان المتعة فى كتاب من الكتب الكثيرة التى كان يشتريها لهما خليل وفى الراديو ما وجدت البطارية وفى الأسطوانات • وقد تزوجتا كلتاهما وهما فى مطالع الشباب فلم تضق منهن نفس ولم تشعر واحدة منهما فى حياتها برهبة المستقبل ولم يهدد احداهما شبح من عنس •

وما هى الا سنوات قلائل حتى امتلأ البيت بابناء فاطمة وعايدة يأتون جميعا الى بيت وهدان فى الاجازات والأعياد وكان الجدان يشعران بمجيئهما أن الحياة التى عاشاها كانت مثمرة خصبية ولم يشعر واحد منهما بالأسف ان سباعى لم ينجب وقد استطالت سنوات زواجه . وكان سباعى فى هذه السنوات تواقا الى ابن وليس ابنة ليضمن وارثا لماله الذى سيئول اليه من ابيه والذى يقوى أن ينميه بكل الخطط التى كان يعدها طوال حياته وما سترثه ايضا قدرية من ابيها وهو نصيب ان يكن نصف نصيب شعبان الا انه يظل مع ذلك موفورا ولم يكن قبح زوجته بالنسبة اليه يشكل اى أسف لزواجه منها . فقد سرعان ما تعوده حتى لم يعد يرى فيها ما رآه فى أول يوم دهمه فيه رؤياها . وهو ايضا كثيرا ما يروح عن نفسه مع شعبان . ولم يكن شعبان يجد أى غضاضة أن يصحب زوج أخته فى لياليه الصاخبة بل لعله كان يعتقد انه اذا لم يصحب شعبان فان شعبان سيجد وسيلة اخرى يخفف بها وطأة أخته عليه وهى وطأة لا يطيق احتمالها الا ذو قوة وأيد .

وكان العرب قد بدأوا يرودون ملاهى شعبان وسباعى . وكانوا حريصين ان يجدوا لانفسهم أصدقاء فى القاهرة . وكان شعبان يتمتع حيث يسمى بانه ابن احد النواب وبانه ثرى واحس أمير عربى ان مثل هذا لن يطمع فى ماله وانه يستطيع ان يتخذ منه صديقا . فاتخذه صديقا وأصبح الأمير نمر من أقرب أصدقاء شعبان أما سباعى فكانت الصلة بينه وبين الأمير صلة تعارف لا تصل الى الصداقة . وكثيرا ما دعا شعبان الأمير الى شقته بالقاهرة وكم سعد أبوه عز الدين حين دعا الأمير الى بيتهم فى القرية فاى مجد يناله وهو يصبح فى خدمه . القهوة لسمو الأمير

يا ولد · الشاى لسمو الأمير يا ولد · انه لم يحلم بزيارة وزير فكيف بامير · كان فخوراً عـز الدين بابنه وبصداقته هـذه للأمير فخرا لم يعرفه حياته كلها ·

ودعا الأمير شعبان أن يزوره فى بلـده فلبى الدعوة وحـده طبعا فالدعوة لم توجه الا اليه · وحين سافر شعبان لم يكن يفكر الا فى رؤية هذه البلاد وحين استقر به المقام هناك ووجـد الثراء الفاحش الذى يعيش فيه الأمير انتهـز فرصة خلا فيهـا به وسأله فى شبه مداعبة :

ـ اتقبلون فى اسرتكم غير الأمراء ·

وقال الأمير :

ـ يا اخى وما البأس كلنا ابناء ادم وكلنا مسلمون

ـ احقا ما تقول يا سمو الأمير

ـ نعم هو الحق

ـ الك اخوات لم يتزوجن بعد ؟·

ـ تسع اخوات تزوجت منهن اثنتان ··

ـ فاذا طلبت منك ان تزوجنى احدى السبع الباقيات

ـ أيهن ؟

ـ وهل اعرف ·· انها اول مرة اعرف ان لك اخوات

ـ وكيف تريد ان تتزوج اذن

ـ بالأنانية

ـ الأنانية تكون فى زوجة محددة

ـ اننى أوكلك عنى فى الاختيار أما العقد فلا داعى فيه للانانية فانا حاضر بين يديك

ـ اتريد أن تتزوج فى هذه الزيارة

ـ واعود الى ابى بالعروس

ـ وهل هذا معقول ؟

ـ وفيم نحتاج الى الزمن · انا بيتى موجود فى البلدة وفى ساعات اختار للأميرة احسن شقة فى القاهرة والأميرة قطعا لا تحتاج الى جهاز ففيم الانتظار ؟

ـ اسالها

ـ هل أخترت لى ؟

ـ قد أخترت

وتزوج شعبان من الاميرة العربية وعاد بها الى ابيه واقيم الفرح فى القرية ثلاث ليال سويا · ولم تكن الأميرة على كل حال فى قبح قدرية · وهو حين طلبها انما سعى الى لقبها وثرائها وما سعى الى جمالها أو انوثتها · قدر انه لابد ان يتزوج وقدر أن مثله لا يعرف للحب معنى الا هذا الذى يمارسه فى لياليه فى القاهرة وعندما تنطفىء الأنوار تتساوى جميع النساء ·

★ ★ ★

اشتد المـرض بوهـدان فقد داهمه الكبر فجاة وتوالت عليه علائمه واحس انه يعيش الايام الأخيرة من حياته • وكانت نتيجة البكالوريوس على وشك الظهور مكان كل دعائه حين كان يصـلي وهو نائم من شدة الوهن ان ربى لا تضمنى اليك حتى أعرف نتيجة خليل • اريد أن أقول له يا دكتور مرة واحـدة قبل موتى • ومن العجيب أن قدرية كانت حاملا فى هـذه الفترة وكانت قاب قوسين او ادنى من الولادة ولم يدع وهدان ربه أن يرى سـباعى قبل أن يموت وان كانت نبوية تدعو له دائما بطول العمر ثم تهمس وكأنها تناجى الله فى علياء سـمائه وان كان لابد يا الله فافرحه بنجـاح الدكتور خليل وبحفيد من أبنه البكر •

وفى يوم أصبح خليـل الدكتور خليـل وقبله أبوه وعيناه تنهمران دموعا وراح ينظـر الى السماء وهو يقول الآن اذا شئت يارب •• الآن ولك الف شكر والف حمد وابت السماء الا أن ياتيه الخبر الآخر فى نفس اليوم أن ابنه سـباعى قد رزق بولد وكان سباعى هو من سعى اليه بالنبأ وقبل يده وساله :

ـ لن يختار له الاسم الا انت يا أبا •• أطال الله عمرك

وقال وهدان وهو يلتقط انفاسه :

ـ ليكن اسمه صلاح وليكن صلاحا باذن الله

وفى المساء فاضت روح وهدان وهومت فى سماوات القرية كلمات الآية الكريمة ••• يخرج الحى من الميت سبحانه •••



— ٨ —

الانتخابات فى القرى مواسم . حين تقبل يصبح الجميع مشغولا بها لا يصرفه شىء عنها . الا ان يكون موعد زراعة او رى او تسميد فان الأرض لا تعرف التأجيل والنيات لا شأن له بالانتخابات فهو لن يعطى صوتا وهو أيضا لن ينال ما يناله أصحابه من مال أو من تسلية .

ولئن كان النفاق هو أعظم العملات تداولا فى الحياة جميعها فان موسمه الاكبر هو ايام الانتخابات . نفاق متبادل يقدمه المرشحون الى الناخبين ويقدمه الناخبون الى المرشحين مع ما يكرمونهم به عند زياراتهم . ويروى أحد المرشحين المشهورين انه ذهب فى يوم لزيارة بلدة من بلاد دائرته الانتخابية فلقيه الاهالى على الأعناق واتجه الركب الى بيت العمدة ليكون اول بيت يزوره المرشح فى القرية وكان التراب قد تصاعد الى عينى المرشح حتى لم يعد يرى وهو بطبيعته ذو عيون كليله حساسة فهمس فى اذن العمدة أنه يريد أن يغسل وجهه وسرعان ما أخلى الطريق له الى الحمام وغسل وجهه ونشفه ووضع نظارته على عينيه . ووجد

بالحمام شيئا عجيبا ووجد لافتات فى حجم اللافتات التى استقبلته بها البلدة لا فارق هناك بينهما الا شيء واحد هو ان هذه اللافتات تحمل اسم المرشح الآخر ٠

ولئن كانت الرشوة تتستر وراء الكلمات فى مألوف الحياة وان كان المرتشى يقول دائما ان المال لغيره والراشى يتظاهر بأنه يصدق فان الرشوة فى أغلب الانتخابات تسفر عن وجهها سفورا كاملا لا تتشح بساتر ولا تستخزى وراء الكلمات ولا تستحى ان تصرح ٠ فاذا لم يكن للبلدة كبير يرشى فقد تتمثل الرشوة فى تبرع يقدمه المرشح لجامع يبتى علم الله انه تبرع لن يكتب فى الحسنات ابدا ٠ واذا كان كبير البلدة عفيف النفس وطلب الى المرشح الا يقدم أى تبرع فى أثناء الانتخابات سعى الصغار الى المرشح يوسعونه مطالب واستجداءات حتى ليتمنى لو كان كبير البلدة مرتشيا فطلبات الأفراد لا نهاية لها اما التبرع أو رشوة الكبير فرقم محدد وينتهى الأمر ٠ ولما كان المكر السيء يحيط باهله دائما فالراشون هم فى الأغلب الأعم هم الساقطون فان المرشح الواثق بنفسه لا يقبل مساومة فى فترة الانتخابات قط حتى لأعرف مرشحا كلفه المطعم والمشرب واستقبال الناخبين مبلغا لا يتجاوز بضع مئات ولكنه خشى ان يعرف أحد هذا فيظن انه أنفق فى الرشوة مالا فقال لابنه وهو ينبئه بالحساب لا أحب ان يعرف أحد اننى انفقت هذا المبلغ ٠ وكان نجاح هذا المرشح ساحقا ٠

فالمرشح السياسى الخبير بالانتخابات يعلم ان الصوت الذى يشتريه لم يصبح له وانما يصبح سلعة فى السوق ٠ واذا كانت السلعة يدفع مشتريها ثمنها ويتسلمها فان الصوت سلعة غير امينة ولا مأمونة فهى تأخذ من كل المرشحين ثم لا تنتخب أحدا على الاطلاق أو قد تنتخب من لم يدفع لها شيئا ٠

ولكن حين يكون بين المرشحين مجرم مثل عز الدين الخولى فان الأمـر يختلف كل الأختلاف • فان أغلب البـلاد لا تريد أن تتعرض لزبانيته ومجرميه الـذين يسلطهم على عباد الله فيفعلوا بهم الافاعيل من حرق للزرع الى سرقة للبهائم الى قتل اذا أحتاج الأمر الى قتل • والبلاد في الريف تخاف على زرعها وعلى بهائمها وعلى أرواحها ولكنها لاتحب ان تعلن انها خائفة فهى تتظاهر بذكاء لا يتاتى الا للفلاحين انها تنتخب المرشح المجرم عن حب وطواعيه وليس عن خوف واذعان • وانها تختاره راغبة لا راغمة • والمجرم أعمى البصـيرة بطبيعة تكوينه ولم يكـن كـذلك لادرك أن مال العالم وسلطانه أجمع لا يساوى دم انسان برىء واحد من الدماء التى يريق . وبهذا العمى فى البصيرة يصدق أنه محبوب من دائرته وانها تنتخبه عن اقبال وحب •• وقـد يسال واحد من الذين لم يعيشوا فى الريف • الا يسال المجرم نفسه لماذا يحبه الآخرون وهو قاتل سفاح يهـدد مصادر رزقهم ويقض منهم المضـاجع ويجعـل حياتهم رعبا وموتهم لعبة • نعم ان هذا السؤال قد يرد على ذهن المجرم وهو واجد عند نفسه الجواب فهو يظن ان الفلاحين ماداموا يطربون حين يسمعون حكايات أبو زيد الهـلالى سـلامة وعنتر ابن شداد والزناتى خليفة ، وما دام بعضهم يروى لبعض حكايات أدهم الشرقاوى ومن تبعـه باجـرام الى الخط فهم اذن يعجبون بالرجل القوى الذى يصادر الحياة ويجعل من نفسه جلادا لمن يقول فى وجهه لا اله الا الله محمد رسول الله • وهو منطق كما ترى سخيف وساذج • أما الطرب من الفلاحين لحكايات الأبطال فهو شعور بأن هـؤلاء الذين تروى عنهم الاساطير قد واجهـوا الظلم بمثله ودافعوا الطغيان بالقوة والعنفوان وهو ما كان الفلاحون يتمنون أن يصنعوه مع امثال عز الدين الخولى • فعنتر وابو زيد

والزناتي واضرابهم هم ازاحة الغضب الذى يغتلى فى نفوس المغلوبين على امرهم امام القـوة الغاشـمة المتمثلة فى اسلحة الطغـــاة واعوانهم ٠

اما رواية الفلاحين لقصص المجرمين من معاصريهمفهى اتقاء لشرهم وتظاهر بالاعجاب بهم عساهم أن ينأوا عنهم باجـرامهم وأذاهم فالفلاحون اذن بمـا يروون انما يتقون شرا ولا يعجبون بشرير الا أن يكونوا أطفالا يسمرون ما يلبثون مع الأيام أن يدركوا الحقيقة وأن يعملوا الذميم والطيب والفساد والصلاح والأعوج والقويم ٠

ولكن عز الدين الخولى وأمثاله لا يحبون هذا الحق وانما يحبون أن يهيئوا لأنفسـهم أنهم أبو زيد وعنتــر والزناتى وادهم الشرقاوى والخط جميعا ٠٠ وانهم محبوبون ٠

ولهذا لم يكن عجيبا أن يزور عز الدين الخولى بلاد الدائرة فى سيارة مكشوفة وخلفه صفوف من السـيارات التى اسـتأجرها للانتخابات باسعار توشك أن تكون رمزية فأصـحاب السيارات أصحاب أولاد يخشون أن يخطفوا وأصـحاب أرواح يخشون أن تحرق ٠٠ فهم اذن يقدمون سياراتهم له بكل الحب وبالفـاظهم صائحين انها ملكه هى واصحابها مقسمين بالطـلاق الا يتقاضوا مليما ومايزال بهم حتى ينزلوا على امره ويقبلوا ما يعرضه ٠ وقد كان ما يعرضه سفاكا للمال كما هو سفاك للدماء وكانت الانتخابات قد بدات وكان عز الدين منتميا لحزب الوزارة التى تركت الحكم ولكنه فى نفاق واضح لا شبهة فيه ولا مراوغة ترك حزب الحكومة المولية وانضم الى حزب الحكومة الحاضرة ٠ فالرجل لم يدع فى يوم من الأيام أنه ذو مبـــدأ أو أنه سياسى أو أنه ــ لا قدر لأله ــ ذو شرف ٠

ولم يكن هذا الانتقال من حزب الى حزب نظرة الى الانتخابات فهو يعرف نتيجتها على الحالين وانما كان تحسبا لما بعد الانتخابات وحرصا على أن تكون صلته بالسلطة التنفيذية وطيدة فتظل ايجارات الأوقاف سارية المفعول في العهد الجديد وتظل رغباته في تعيين العمد ونقل الموظفين نافذة . وهو قبل لم يختر الحزب الذى كان فيه عن مبدأ ولا هو انتقل الى الجانب الآخر عن اعمال رأى .. فالشرف السياسى بعيد عن كيانه كل البعد . ومادام الأمر كذلك فماذا سيخسر اذن ان هو ترك حزبا الى آخر .. لا خسارة طبعا .. والربح مؤكد .

وراحت مواكب عز الدين تجوب بلاد الدائرة . وان له لبصمة في كل بلد زارها .. وبصمة السفاح تترك حيث تقع دماء ان لم تكن دماء بشر فدماء كرامة مسفوكة وخزى يلحق بمن أختاره الطاغية ليكون ضحيته .. والسفاح معدوم الحياء جامد الوجه شديد التبجح فليس يراعي الا يمر ببيت قوم قتل عائلهم او سلب بهائمهم أو حرق زرعهم أو محصولهم . وانما هو يتحرى أن يعمد فى أول نزوله الى القسرية الى البيت المخضب بدماء البشر أو الكرامة أو الفقر التى أسالها هو ويتعمد أعوانه الذين هم على شاكلته من الفجور أن يرفعوا عقائرهم بالهتاف له ثم ينطلق رصاص عصاباته ليعلن أن الذى يتخلف عن الهتاف ينوب الرصاص عنه فى هذا الهتاف .

وعلا الضجيج وعلا الصخب ودق الطبل وعلا الزمار وتهاتفت أصوات الرصاص وغلت دماء فى العروق وصعدت حميا الجنون الى مكان العقول وسقط عز الدين الخولى قتيلا برصاصة فى رأسه وخشع الطبل والزمار وولى المجرمون بزعامة أبو سريع

هربا وهم من كانوا يقسمون فى كل يوم أنهم يفدونه بخيساتهم ..
ولكن القسم شىء وقتله ومجىء الشرطة والتحقيق شىء آخر ..
ويبدأ الفرح على وجوه الجميع فى القرية تحاول أن تغطيه الحوقلة
ولا اله الا الله .. وسبحان الدائم .. ومحاولة التظاهر بالحزن
أمام ابنه ومن بقى من أعوانه .. فمن أين لهم أن يعلموا ان كان
شعبان فى مثل اجرام ابيه أو أقل أو أكثر فهم لم يجربوه بعد ولا
يدرون مدى جبروته أو ضعفه .. لقد عاش عمره تابعا لمجرم
افتراه يصبح متبوعا لمجرمين أم لا يكون الله وحده أعلم .. التظاهر
بالحزن لسلم .. وما هى الا ساعة أو بضع ساعات ثم ينحسر عن
القرية موكب الاجرام ويفرغون هم لأفراحهم بما خلصهم الله من
هذا العاتية السفاح .. كان من المستحيل أن يعثروا على الجانى
فكم من أعداء للقتيل .. وان انصرف الظن الى من نكبهم عز الدين
من أهل القرية فسرعان ما يخيب هذا الظن فقد كانوا جميعا يعلمون
أنه قادم الى القرية فى هذا اليوم وكان من الطبيعى أن يتركوا
القرية اكراما لأنفسهم أن يروا وجهه الذى لا يطيقون رؤيته
وتقية أن يبلغ منهم الغيظ مداه فتنطلق من أفواههم كلمة قد تكون
فيها نهايتهم ويدرك الشرطة أن القاتل قادم من بلد أخرى وانه تخفى
حتى لا يلمحه أحد ممن يعرفونه من أبناء هذه القرية وانه انتهز
فرصة الهتاف والرصاص والطبل والمزمار ونال ثأره وثأر كثيرين
آخرين غيره .. ولم يدهش أحد من كل الذين شهدوا القتلة
أو الذين سمعوا بها فهى أمر كان لابد أن يقع على هذه الصورة
وليس على غيرها .. كل الذى كانوا لايعرفونه هو متى..وقد
عرفوه ..



— ٩ —

حين اجتمعت أسرة وهدان بعد وفاته بفترة قال خليــل كلاما قاطعا :

ـ يا أمه انت الكبيرة ولا رأى قبل رأيك ولا بعده ولكننا نعرف أن هــذا الحديث لا يطيب لك .. ونعرف معنى أن تفقــدى المرحوم ولكننا فلاحون .. والأرض جامدة صلبة بلا عواطف ولابد لها من خدمة وأنا لى رأى ..

وقالت نبوية :

ـ يا خليل يابنى أنا ليس لى أرض .. الأرض أرضكم .

وقال سباعى :

ـ بل كلها أرضك ..

وقالت فاطمة :

ـ اســمعى يا أمه انت تديرين الأرض كمــا كان يفعــل أبى ويساعدك سباعى ..

وقالت عايدة :

ـ ونعم الرأى يا فاطمة ·· وماله يا امه ·· انت فلاحة بنت فلاح وصباحى ابنك ··

ونكس صباحى رأسه فى مراوغة مكشوفة وقال :

ـ انا تحت امركم ·· الا اننى احب ان اتسلم نصيبى ··

وقالت الأم فى أسى وفى تؤدة :

ـ طول عمرك مستعجل يا صباحى ··

وقال صباحى :

ـ ليس فى الأمر استعجال ·· هذا شرع الله ··

وقالت الأم :

ـ لا اله الا الله ·· وهل نازعك فيه احد ·· ولكن انت كذا طول عمرك مستعجل ··

وقال صباحى :

ـ يا امه ابدا ··

وقالت نبوية :

ـ ان لم تكن عجولا لانتظرت على الأقل حتى تسمع رأيى ··

وقال صباحى :

ـ انا اسف يا امه ·· الحق على ·· قولى رأيك ··

وقالت نبوية :

ـ ألآن لا اقول ..

وقال سباعى :

ـ ورحمة ابى الا قلت رأيك ..

وقالت نبوية :

ـ ماذا كنت تريد أن تقول يا خليل ؟..

ـ كنت أريد أن أوفر عليكم كل هذا الحديث .. أما الآن وبعد أن قالت فاطمة ما قالت ووافقت عابدة على كلامها فلابد ان اسمع رأيك أولا ..

واندفع سباعى قائلا :

ـ هذا ليس رأى فاطمة ولا عابدة .. هذا رأى الشيخ ياسين والأستاذ حسونة .

وقال ياسين :

ـ أولا يا سباعى انا وحسونة جالسان ولم نفتح فمنا بكلمة واقسم بعهد الله أننا لم نلتق قبل هذا الاجتماع ولم نتفق على هذا الصمت ولكننى رأيت أن هذا هو الخليق بى ويبدو ان حسونة رأى نفس هذا الرأى .. ولو كان ما قالته زوجتى رأيى لقلته وأعتقد أيضا أنه لو كان رأى حسونة لقاله فليس علينا بأس أن نشـارك فى شئون عائلة اصبحنا منها بحق النسب .. ولكن هذه ارضكم وزوجتى والحمد لله تعيش حياتهـا الزوجية فى رضى وأعتقد أن

اختها كذلك ٠٠ ولهذا فأنا أرجوك أن تبعدني عن هـــذه المناقشة ويتهيأ لي أن حسونة يرجوك نفس هذا الرجاء ٠٠

وقال حسونة :

ـ الله يفتح عليك يا ياسين ٠٠ ليس لي بعد ما قلت كلمة واحدة أزيدها ٠٠

واستخزى سباعي بعض الشيء وأطرق وقالت نبوية :

ـ ألم أقل لك يا سباعي انك دائما مستعجل ٠٠

وقال سباعي :

ـ الحق على مرة اخرى ٠٠ قولي انت رأيك ٠٠

وقالت نبوية :

ـ الأمر لله ٠٠ اقول ٠٠ انا لا اريد من الدنيا الا أن اكون أمكم وان أبقى في هـــذا البيت لأفتحه لكم جميعـــا حين تأتون اليه وبهذا اشـــعر أنني استطعت أن أرد بعض الدين الـــذي في رقبتي للمرحوم الذي عشت معه ما عشت ولم أر منه في لحظة من اللحظات ما يسيئني حتى اذا غضب كان يدخل الى حجرته ويقفل بابها على نفسه حتى لا أراه مكشرا ٠٠ أرض ؟! أنا لن أشوف ٠٠ وان كنت كما قالت فاطمة فلاحة وبنت فلاح الا أنني منذ تزوجت أبوكم لم أخرج الى الغيط ٠٠ حتى حين كنا فقراء في أول حياتنا رتب لنـــا مصطفى السقا حتى لا أخرج لملء الجرة ٠٠ فأى أرض هذه التي أشوفها ٠٠ وهل تسمح سنى بذلك ٠٠ يا أخي أنا كفاية على أن أجعل البيت دائما مستعدا لاستقبالكم ٠٠ غير هذا انا ليس عندي

كلام ·· وما تشوفه انت واخوك انا مسئولة أن أجعل فاطمة وعابدة تقبلانه ··

وقال خليل :

ـ أطال الله عمرك يا امه وابقـاك لنا جميعـا ·· نعم الرأى الحقيقة أننى الآن أصبحت طبيبا ·· والطبيب يحتاج لوقته كله حتى يكون طبيبا ناجحا ·· وانا متأكد انكم تحبون ان يكون اخوكم ناجحا ·· والحقيقة أيضا أن سباعى كان دائما ابن الأرض يعرف كل شيء عنها وكان أبى يعتمد عليه منـذ كان سباعى صبيا وحين أصبح شابا كان هو الـــذى يشرف على الأرض ويكتفى أبى بأن يعرف منه ما فعل ·· وكان أبى يبيع المحصول وبحضور سباعى ·· أليس هذا كله حقا ··

وهينمت أصوات بالموافقة فأكمل حديثه :

ـ وأن يجلس كل واحد منا آخر السنة ويرى حساباته أمر أنا لا أحبه فقد تقتنع فاطمة بالحساب ولا أقتنع أنا مثلا ·· فالرأى عندى أن اتفق الآن مع سباعى ونرى ما أنتجته الأرض فى السنوات الثلاث الأخيرة ونقدر ايجارا معقولا يعود بالربح على سباعى مقابل ادارته للأرض وتعبه فيها ويكون كل منا على علم طول السنة بما سيحصل عليه آخر العام ··

وقالت الأم فى حسم :

ـ كلام معقول ··

ونظرت فاطمة الى اختها وبادلتها عابدة النظر وتلمست كل منهما رأيا عند زوجها فلم تجدا اعتراضا وقالت فاطمة :

ـ موافقة ··

وقالت عابدة :

ـ نكتب عقود ايجار ··

وقال خليل :

ـ نكتب عقود ايجار ··

وقال سباعى والفرحة تملأ عليه منافذ الهواء :

ـ على بركة الله ··

★ ★ ★

حين خلا سباعى الى شعبان بعد ماتم ابيه سأله شعبان عما فعله مع اخوته فأخبره ·· وفكر شعبان مليا ·· ثم قال :

ـ بعد الأربعين أريدك فى أمر مهم ··

★ ★ ★

كان شعبان انسانا آخر غير أبيه وغير الذى عرفه فيه ابوه ·· فان تكن الأرض هى كل حياة أبيه يقتل فى سبيلها الناس ويمتص دماء البشرية فان شعبان لم يكن يرى فى الأرض الا وسيلة تمكنه من قضاء أيامه مقلوبة ومن أن يجعل نهاره كله سودا لأنه فيه دائما يحب أن يكون نائما ولياليه كلها بيضاء باللنور الملقى على أجساد الراقصات وهن بعض كاسيات أو حمراء بالضوء الشاحب الهارب فى خجل من جسومهن وهن عاريات·· تلك هى الحياة عنده ·· وان كان فى حياة أبيه يعاونه فى الزرع ويغضى عما يفعله بالبشر فما كان هذا منه الا لينال ما ينفقه

على صنعته الوحيدة فى الحياة وهى المتعة والمتعة المشتراة وانها لباهظة الثمن ٠

وان كان ابوه يحب ان يكون عضـوا فى مجـلس النواب ممتليا كرسيه على الرعب يثيـره فى النـاس بالقتـل والسرقة والغصب والنهب والجبروت فان شعبان كان ينظر الى مجلس النواب هذا على انه تسلية لا طائل تحتها مادامت لياليه لا تنتهى بمـا تنتهى به لياليه هو ٠٠ وان كان فى حياة ابيه مرغمـا على الزراعة والسعى فى الانتخابات ٠٠ فلا ارغام اليوم عليه٠٠ وقد كان شعبان فى القمـة من سعادته بزوجتـه المرضـية التى لا ترى فيما يفعله من سهر امرا غير عادى وانما هو مالوف ما يصنع الرجال وما عليهم فى ذلك من بأس ماداموا آخر الليل او اول النهار ينامون فى اسرة منـازلهم ٠٠ وكانت قـد ولدت لشعبان سمية ووليد فهى مشغولة بابنائها والمال عندها دائمـا موفور بما يرسله اليها اخوها او يعطيه لها حين يزور مصر ٠٠ وهى تشترى ما يعن لها ان تشترى وربما كان الشيء الوحيـد الذى كانت تتوق اليه هو زيارة امريكا واوروبا وقد كان زوجها يعتذر عن عدم تنفيذ هذه الرغبة بمشغوليته فى املاك ابيه مخفيا الأسباب الحقيقية التى يتقدمها جهله باللغة ولكنه امام الحاحها وافق على السفر معللا نفسه ان اللغة التى يجب ان يتحدث بها عالمية وربما وجد فى باريس مثـلا من يفهمها خيرا ممـا يفهم الفرنسية نفسها وحدد لسفره انتهاء المعركة الانتخابية ٠ فحين قتل فيها ابوه تأجل الموعد الى ان تمر فترة مناسبة وهكذا كان شـعبان فى مشاغله وآماله بعيـدا كل البعـد عن مشاغل ابيـه وآماله ٠٠ وكان ابعد ما يكون عمـا يفعله أبو سريع وقـد كان واثقا ان أبو سريع لن يبقى معه بعد موت ابيه الا ريثما تمر فترة

تسمح له أن يجد مستأجرا آخر ·· فما كان شعبان يتصور أن يقتل أحدا في سبيل أي شيء الا أن يعوقه عن متعته في الملاهي ·

ولهذا لم يكن غريبا أن يقول شعبان لسباعي بعد احياء ذكرى الأربعين لوفاة أبيه :

ـ ما رأيك يا سباعي أن تصنع معي ما صنعته مع اخوتك ؟

وذهل سباعي ·· أحقا ما يسمع ·· ويسأله أيضا ما رأيك ·· وهل فيها رأي ·· لقد بدأت الآمال تتحقق من أوسع الأبواب·

★ ★ ★

حين غادر سباعي بيت شعبان قصد من فوره الى بيت أبو سريع ··

ـ السلام عليكم ··

ـ أهلا سباعي بك مرحبا ·· القهوة يا ولد ·· يا مرحبا أهلا وسهلا ··

ـ أهلا بك يا أبو سريع ·· قهوتك مشروبة يا أبو سريع الا أنني أريدك في كلمتين ··

ـ تحت أمرك ·· عن اذنكم يا رجال ··

وينظر الرجال بعضهم لبعض في دهشة شديدة ثم يقومون الواحد منهم تلو الآخر وقبل أن يصل أولهم الى الباب يصيح سباعي :

ـ يا سلام ···

ويقف سلام ويلتفت اليه في اجلال :

ـ نعم يا بك ··

ـ أنتم طول عمركم رجال ··

ـ تحت أمرك ··· مر ··

ـ هذه الزيارة ··

ـ مالها يا بك ··

ـ لم تحصل ·· لم تتم ·· لم أجيء الى هنا ·· لم يرنى احد منكم ··

وابتسم سلام وهو يقول :

ـ وهل جئت يا بك حتى يراك احد منا ·· هيا بنا يارجال

وخرج الجميع وهم يضحكون تشيعهم جملة سباعى :

ـ الم اقل أنكم طول عمركم رجال ··

وحين خلا المكان بسباعى وابو سريع قال سباعى :

ـ هل اتفقت مع أحد بعد عز الدين ···· بك ·

ـ يا بك الأربعين كان أول امس ·· من يمكن ان يكلمنى قبل ان يمر الاربعين ··

ـ لا تتفق ··

ـ أمرك ··· فيه حاجة ··

ـ لا تتفق وبس ·· افهمت ؟··

ـ أمرك ···

★ ★ ★

— ١٠ —

متولى ابو منصور هو احسن فلاح فى ارض وهدان جميعا وقد انتج فدانه فى العـام الاول من تولى سباعى الأرض سبعة قنـاطير • وكان نظام الزراع مع الملاك خاضعا للمحمول وهى نظام يشبه الايجار الا ان السداد فيه يكون عينيا اى بالمحصول نفسه • وكان هذا السداد يسمى المحمول وقد غلبت هذه الكلمة على النظام كله فكان يقـال ان الزراعة بالمحمول وكان محمـول الأرض الـذى يجب ان يسـدده الفلاح فى ارض وهـــدان هو ثلاثة قناطير عن فدان القطن وثـلاثة ارادب عن فدان القمح واربعة ارادب عن فدان الذرة • وكان متولى يزرع خمسة افدنة وكانت الأرض تنتج فى مالوف عادتها خمسة قناطير وكان الأصل ان يكون ثلاثة اخماس المحصـــول للمالك وخمساه للزارع فان كانت هناك مصاريف زراعية تخصم بنفس النسبة مما تبقى من نصيب الفلاح ويتقاضى المالك هذه المصاريف التى غالبا ما تمثل الكيماوى والرى وجمع قطن عينا ايضا من محصولها •

وحلا لسباعى ان يبدأ حياته الجديدة التى أعد نفسه لها منذ باكر الأيام مع متولى أبو منصور الذى يزرع عندهم منذ عشرين سنة ونيف · أرسل اليه وبدأ يحاسبه على ملأ من الناس :

ـ كم أنتج الفدان عندك

ـ ياسى سباعى افندى

ـ بك يا ولد

ـ ولا مؤاخذة بك الا تعرف

ـ أعرف ولكن اريد الرجال أن يسمعوا

ـ سبعة قناطير

ـ هو ما قلت

ـ انا لا اكذب عمرى وانت تعرف

ـ سبعة قناطير فى خمسة أفدنة يكون كل محصولك كم

ـ لا حول ولا قوة الا بالله

ـ انطق

ـ خمسة وثلاثون قنطارا

ـ حلو جدا ·· فلماذا وردت خمسة عشر قنطارا

ـ عجيبة ·· ثلاثة فى خمسة ·· اليست خمسة عشر · وليس على مصاريف انا اشتريت الكيمساوى وروبيت وانا الذى جمعت أيضا ·· ماذا تعوز منى ياسى سباعى أفندى ·

ـ بك

ـ بك

ـ اليس المحمول مخامسة

ـ كان كذلك حقا ولكن المرحوم والدك لما رأى الأرض تنتج عادة خمسة قناطير جعل المحمول ثلاثة قناطير حتى ينال الفلاح الذى يجتهد حقه وينال المقصر جزاءه عن ضعف المحصول وانت نفسك كنت تحصل منا المحمول منذ سنوات على هذا الأساس

ـ ولكنى السنة اريده مخامسة

ـ السنة هذه غير معقول ·· اما اذا كنت تريد ذلك فى العام القادم فامرك ولكن رأيى ان هذا ليس من مصلحتك وليس عدلا أيضا ·

ـ وهل لك رأى

ـ وكان المرحوم والدك يأخذ به منذ كنت أشيلك على كتفى

ـ اخرس يا ابن الكلب

ـ ابن الكلب ·· امى حصلت يا سباعى ··

ـ بك ··

ـ من غير بك ·· سلام عليكم

وانصرف متولى ونادى سباعى

ـ يا ابو سريع

وجاء أبو سريع من الحجرة الأخرى

ـ نعم يا بك

ـ قطن متولى أبو منصور يذهب رجالك اليوم ومعهم بعض رجال تختارهم أنت وتعبئونه فى الأكياس وتجيئون به الليلة ·

ـ امرك يا بك لكن فقط

ـ مالك

ـ سمعت وهو جالس معك من الرجال انه باع قطنه

ـ باعه ؟

ـ نعم

ـ وسلمه ؟

ـ اليوم وقبض ثمنه

ـ تذهبون اليــه وتطالبونه بثمن سبعة قناطير منه · انا لا اظلم احدا ·· انما حقى لابد أن آخذه

ولم يجد الرجال الجالسون والذين يقف امامهم أبو سريع بكل تاريخه فى موقف التــابع الخاضع لسباعى بدا من أن يقول قائلهم :

ـ عداك العيب

ـ رجل وابن رجل طول عمرك

ـ وكثر خيرك لانك لم تؤدبه بثمن قنطارين جزاء طريقته في الكلام مع سعادتك

ويقول سباعي الذي أحس ان مراسم التتويج الاجرامي قد تمت له بهذا النفاق

ـ المؤدب ربنا .. انا اريد حقي فقط .. اذهب انت يا أبو سريع

ـ امرك يا سعادة البيك

وينصرف أبو سريع ويأخذ الرجال الجالسون مع سباعي في حديث آخر وحين يأتي أبو سريع يبادره سباعي :

ـ هه .. احضرت المبلغ

ـ يا سعادة البك هذا الرجل قليل الادب

ـ كيف ؟

ـ قال لي ادفع شيئا ولن اخاف منك يا ابو سريع ولا من سيدك الجديد واعلى ما في خيلكم اركبوه

ويقول سباعي :

ـ أهو قال هذا

ويقول أبو سريع

ـ يا سعادة البك وماذا يجعلنى اتقول عليه وانا لم أخاطبه فى حياتى الا اليوم

ـ هيه ·· طيب منه الى الله ·· روح انت يا أبو سريع

والتفت سباعى الى الرجال وقال

ـ اذا منعته من الزراعة عندى ايلومنى أحد

وقال أكثرهم نفاقا

ـ وهذا قليل عليه

وقال سباعى فى تظاهر بالعفو والرحمة

ـ يكفيه هذا وانما اردت فقط ان تكونوا شاهدين

مر على هذه الواقعة يومان فقط واذا بلدة الصالحة تعلو بها أصوات الأعيرة وما ان تنكتم حتى يعلو الصراخ وتنقلب البلدة كلها الى بيت متولى ·· لقد أطلق عليه الرصاص وهو جالس مع زوجته يتناول العشاء وعلى ركبته ابنه الأصغر الذى كان فى الخامسة من عمره وقد افنى الرصاص ثلاثتهم وجاءت الشرطة وجاءت النيابة واستقبلهم العمدة والخفراء وجرى التحقيق ولم يكن أحد فى القرية يجهل القاتل والآمر بالقتل جميعا لأن أحدا فى القرية لم يكن يجهل تفاصيل ما حدث بين سباعى ومتولى · ولكن من ذلك الذى يريد ان يلقى مصير متولى · وازداد سباعى فجورا فأعلن ان مصاريف الدفن والمآتم

عليه · فهو رجله وهو مسئول عن دفنه هو وابنــه وزوجته وعن ماتمهم أيضا · ويلغ اقصى القمة حين وقف يستقبل العزاء يحف به عن يمين شاكر الابن الأكبر لمتولى وعن يســـار عبد التواب الابن التالى لشاكر ·

وعرفت القرية أو المنطقة أن سباعى قد جلس على عرش سيىء الذكر المجذوم عز الدين الخولى بك ·

ثنى سباعى بحسن بن عبد الحميد أبو ديدة الذى اوصاه بابنه هذا لقاء نصيحته له أن يتزوج ابنة عز الدين · طلب سباعى الى حسن أن يبيعه افدنته الثلاثة فرفض حسن ·

ـ ماذا يقـــول الناس عنى · باع أرض أبيه · خائب أنا اذن لا اكسب من صنعتى

ويقول سباعى وكأنه ينصحه :

ـ يا بنى انت فى دكانك ولا تســتطيع زراعة الأرض وهم ينهبونها منك

ـ كل هذا ولا أنى ابيعها

ـ بل تبيعها

ـ اهذا تهديد يا سباعى بك

ـ ليكن كذلك

ـ تقتلنى كما قتلت متولى

ـ وهل انت كبير

ـ كبير جدا

ـ فنشوف

ويحرق المحصول فى ارض حسن وتسرق بهائمه فى ليلة واحدة ويأتى خاضعا وعيناه نيران ولهيب وغيظ وتمرد ولكنه تمرد المكبل الذى لا يستطيع من كبوله فكاكا

ـ ابيع يا بك ابيع وامرى لله

ـ بنصف الثمن الذى عرضته

ـ بنصفه ؟!

ـ اذا كان يعجبك

ـ يعجبنى فابنائى صغار ولن يجدوا من يربيهم من بعدى · ابيع · وان قلت بغير ثمن ابيع ايضا

وأمر سباعى وكتب العقد ·

ثم استدار الى سليمان النواوى · ذلك الرجل الذى اتاح لأبيه ان يشترى عشرة افدنة بالدين الذى استدانه منه · ذلك الرجل الذى قبل سباعى يده يومذاك وغضب ابوه من فعلته تلك مرتئيا فيها بعدا عن الكرامة · هذا الرجل صاحب ذلك الفضل عليهم استدار اليه سباعى بجبروته الجديد · وكان الرجل قد علت به السن واستطاع ان يجمع الى الستة افدنة عشرين اخرى

وكف عن التجارة خاشيا الا يتيح له وهن جسمه ان يقدم لهسا ما تستحق من سعى • وعكف الرجل يربى اولاده بريع ارضه •

استقدمه سباعى الذى لم يستطع أن ينسى ان اباه كان يستطيع ان يشترى هذه الأفدنة الستة وعف عنها بكبرياء من لا ينتهز الفرص وينهش ما ليس له بحق • واستطاع فى جمود مشاعره وتحجره أن ينسى ان سليمان ابدلهم بالستة افدنة عشرة ونسى بعواطفه الصلبة البغيضة صداقة سليمان لابيه منذ وقف ابوه الى جانبه فى أزمته •

استدعاه :

ــ اشترى الافدنة الستة

ومع ان سليمان رجل عجوز خبر من الحياة اوجه الحياة جميعا ومع انه عاش اغلب عمره تاجسرا يرى ما لا يراه الناس ويعرف من القوم اسافلهم والاكرمين منهم • ويعرف من الاسافل أشدهم انحطاطا ومن الاكرمين اعلاهم يدا • ومع انه عرف من الحياة كل دناءتها وكل ما فيهسا من قذر ودنس ، ومع انه أصبح وهو لا شيء يدهشه ولا يثير فيه تعجبا .. مع كل هذا .. فغر الرجل فاه • هذا نوع من فجور الحياة لم يتصور انه ملاقيه .. ومن هذا الولد الذى قبل يده • ومن ابن أعز صديق له •

وتمالك سليمان أمر نفسه ولكن بعد فترة ليست بالقصيرة سيطر فيها الصمت الصاخب فى نفسه والصمت المتبجح من محدثه

ــ أه ... أنت لم تنس ان اباك كان يستطيع أن يشتريها وعف

ويقول سباعى فى جرأة :

ـ عليك نور

ـ ولكنك نسيت أننى اشتريت لابيك عشرة افدنة بدلا منها

ـ ونسيت هذا ولن اذكره مهما ذكرتنى به

ـ كم تريد ان تدفع

ـ بكم تريد ان تبيع

ـ اما انا فلا أريد ان ابيع . ولكننى تاجـر وأعرف أنك حـددت الثمن واعرف ايضـا اننى لن أستطيع ان اناقشك فهـل اعددت العقد

ـ جاهـز

ـ اين هو

ـ ها هو ذا

ـ وهذا توقيعى .. سلام عليكم

ـ ونقودك

ـ ارسلها حين تريد مع ابو سريع فهو الذى صنع الصفقة .. سلام عليكم

★ ★ ★

— ١١ —

كان صلاح طفلا لا يدرى ما يصنعه أبوه وحين بدأ ينطق الكلام ويفهمه وجد اباه فى مكان الصدارة من البلدة جميعا ووجد الناس لا تخاطبه الا بكل اجلال ، وحين بلغ الخامسة من عمره وجد ابوه أن من الطبيعى أن يذهب الى المدرسة ولقد احب أن يبعده عن القرية فقد خشى أن يجتمع بالفلاحين فيعرف منهم فى طفولته ما لا ينبغى أن يعرفه عن ابيه · اما القاهرة فهى بعيدة وابنه هناك سيكون فى تيه عن امر ابيه وأمر ابيه هناك لا يعرفه أحد · وان كان سيلتقى فى القاهرة مع ياسين زوج اخته ومع عايدة أخته الا أن أحدا منهما لن يذم ابا الى ابنه وخاصة اذا كان الأب هو المتصرف فى أرضهم · ومهما يكن ظالما لأخته ولخليل متابيا أن يرفع الايجار الذى ارتفع فى جميع الأراضى الا انه مع ذلك كان واثقا أن أحدا من الاثنين لن يذم أبا عند ابنه · وسيرى هناك الدكتور خليل عمه ولكن خليل ابعد ما يكون عن ذلك فان من هو فى مثل علمه لا يتصور أن يذكر أبا عند ولده بما لا يرضاه ·

كلم سباعى ياسين فى التليفون وطلب اليه أن يبحث له بجوارهم فى المنيرة عن شقة تسكن فيها قدرية وابنها وقدر انه بقربه من ياسين المدرس سيكون فى رعاية منه طيبة خاصة وانه فى مثل سن ابنه عمر وسيذهبان مدرسة واحدة · وتم الامر كما أراد تماما وذهب سباعى الى القاهرة ورأى الشقة وكانت فاخرة واسعة فقد استقر فى نفسه أن تكون بيتا له فى القاهرة يلتقى فيها بمن يرى دعوتهم الى غداء أو عشاء اذا اقتضت مصلحة أن يدعو الى غداء أو عشاء ، وبعد أن وقع عقد الشقة عزمت عليه أخته وزوجها أن يبيت ليلته عندهما ولكنه رأى أن يبيت عند أخيه خليل · واستقبله خليل بترحاب أخ شريف يحب أخاه ويتغاضى عما يرتكس فيه مما لا يرضاه الشرفاء وبعد العشاء قال خليل :

ـ قل لى يا سباعى ·· من المؤكد انك عندك من المال السائل ما تريد

ـ الحمد لله لا أشكو

ـ لا تخف انا لا انوى أن أستلف منك فالحمد لله انت لا شك تعرف اننى اكسب من عملى مكسبا يكفينى ويزيد

ـ ولماذا لم تفكر فى الزواج

ـ فكرت

ـ واخترت ؟

ـ وسأدعوك قريبا لتخطب لى وتتفق على كتب الكتاب

ـ اعرفها ؟

ـ لا اظن انها ابنة استاذ لى وطبيبة زميلتى

ـ وستجعلها تعمل ؟

ـ طبعا هـذا امر لا تتصـــوره انت ولكن هل تظن مصر تستطيع أن تستغنى عن جهد طبيب او طبيبة ٠

ويقول سباعى فى دهشة :

ـ مصر وانت مالك وما لمصر

ويقول خليل فى حسم :

ـ طبعا هذا موضوع لا شأن لك انت به

ـ انا من مصر ٠٠ الست كذلك

ـ سباعى اعمل معـروف ٠٠ يا أخى لكل منا طـريق فى الحيـاة لا يتوازى معه ولكن يتقــاطع ٠٠ ولا يمـكن ان افهمك وانت أيضا لا يمكن أن تفهمنى فدع هـذا وقل لى ٠ هل عنـدك مانع أن تشترى أرضى

ـ مطلقا ٠٠ كم تريد فى الفدان

ـ انت الذى تسألنى ٠ اننى لو كنت ابيعها لغريب لجعلتك انت الذى تبيعها عنى

ـ وهو كذلك ٠٠ اشتريت

ـ ادفع الثمن ولن اناقشك فيه واكتب العقد الآن

وكتب سباعى الشيك وكتب خليل العقـد وتمت الصفقة ٠

وقال سباعى :

ـ اين مفتاح شقتك

ـ فى جيبى

ـ نم انت اذن وسأترك لك المفتاح على هـذه المنضدة حين اعود حتى تخرج الى عملك ولا توقظنى ٠

ـ الى اين انت ذاهب

ـ الم تقل ان الطريقين متقاطعان

ـ فقط اردت أن اعلم

ـ وانت تعلم ولكنك تتخابث على

ـ ظننت انك ستقضى الليـلة معى نسمر فانا لا نلتقى الا نادرا

ـ انت ستنام

ـ ما أخبار أمى ؟

ـ قاطعتنى

ـ ولهذا أسالك ٠٠

ـ لماذا ؟

ـ انها قادمة لتعيش معى

ـ احسن

ـ اتظن ذلك

ـ اصبحت لا تحتمل البلد

ـ لا يخرج امى نبوية من البلد الا ما لا تطيق

ـ مادمنا اتفقنا أن الطريقين متقاطعان الا يحس بنا الا يناقش أحدنا طريق الآخر

ـ على كل حال اشكرك

ـ العفوه علام ؟

ـ انك جعلت امى تأتى لتعيش معى

ـ وسأرسل لك ايجار أرضها كل سنة

ـ بل اظنها ستوكلنى فى بيع ارضها هى أيضا

ـ وعلام توكلك .. اكتب وخذ العقد وخذ الشيك ولتوقع هى العقد عندما تحب

ـ وهو كذلك

وتمت الصفقة .. وقال سباعى :

ـ والآن اين المفتاح ؟

ـ هل انت مصمم

ـ لو شئت ما اسوفه انا حين اجيء الى مصر لما سالتني هذا السؤال ٠٠ اتظن نفسك عائشا يا دكتور

ـ علم الله ان حياتي هي الحياة ٠٠ ولكن فليتقاطع الطريقان ولا نتقاطع نحن وخذ المفتاح

ـ ولكن تقاطع الطريقين لن يمنعك من رعاية صلاح فاني ساتركه تحت اشرافك وسجلت اسمك في المدرسة وليا لأمره ٠

ـ هل رأيتني عمرك اتخلى عن واجبي ٠ انا اعرف واجبي دائما وصلاح ابني كما هو ابنك

ـ أعرف ذلك سلام عليكم ٠٠

وخرج سباعي الى سهراته التي بدأ تاريخه معها في صحبة شعبان والتي أصبح مجيئه الى مصر مرتبطا بها ارتباطا يوشك ان يكون هو الوحيد ٠

★ ★ ★

حين جاءت نبوية الى بيت خليل واعطاها ثمن أرضها سالته :

ـ ماذا أنت صانع باموالك

ـ سأشتري بها كمية من الاسهم

ـ وماذا تصنع هذه الأسهم

ـ تدر دخلا احسن من دخل الأرض على الاقل

ـ لذن فاسمع اشتر بثمن ارضى انا ايضا كمية من الأسهم باسم اختك فاطمة واختك عابدة واسمك للذكر مثل حظ الانثيين .

ـ انا متنازل عن نصيبي لهما .

ـ الله يفتح عليك ويعوضني فيك عما اصابني به من اخيك . فقط اريد الريع طول حياتي .

ـ وانا ادفع لك قيمة الريع واتركي انت الريع للبنات.

ـ .. اطال الله عمرك ولكن لا .. أن أعيش على نفقتك لا مانع فهذا حقي عليك لكن مصروف يدي لابد أن يكون من دخل مالي انا .. حين اريد أن أعطي احدا من أولاد اختيك هدية لابد أن تكون من مالي انا . اعط أنت لاختيك ما تشاء لتميزهما اما انا فريع الاسهم يكون لي طول حياتي .

ـ امرك . وسيكون كذلك .

★ ★ ★

— ١٢ —

حين اقتربت الاجازة الصيفية كان سباعى فى بيته بالقاهرة فى النامة مريحة فاذا صلاح يقول له :

ـ بابا ستأخذ الاجازة الصيفية بعد أسبوعين ٠

ووجم سباعى فما كان يفكر فى هذه الاجازة فطالعته من حيث لا يحتسب ودون وعى سأل ابنه :

ـ وماذا تريد أن تفعل

ـ اذهب للبلد

ـ وماذا تصنع فى البلد

ـ اركب الحمير والعب الكـرة ٠٠ اننى اريدك أن تشترى لى كرة العب بها مع أصحابى فى البلد

ـ اى بلد التى تذهب اليها

ــ بلدنا .. انا احبها جدا يا بابا

ــ يا بني البلد تراب وعفار

ــ ولكنك تعيش فيها مع التراب والعفار

ــ شغلي

ــ رفضت في العيد واجازة نصف السنة أن تذهب بي الى هناك .. ارجوك يا بابا ... والنبي

ــ الم اجيء اليكم في العيد

ــ انت جئت نعم ولكن البلد لم تجيء

ــ وكيف تريد البلد أن تجيء

ــ اذهب اليها انا

وفجأة ومضت في ذهن سباعي فكرة لم تكن خطرت له على بال.

ــ انت تلعب مع من طول السنة

ــ مع اصحابي في المدرسة ومع عمر ابن عمتي

وهنا فقط تدخلت قدرية في الحديث :

ــ الله يخليها عابدة لا تتركني ليلا ولا نهارا اما ياسين افندي فلابد أن تقدم له هدية عظيمة انه يعامل صلاح كأنه ابنه عمر وزيادة لا يشغله شيء في الدنيا أن يعطيهما كل يوم الدرس

ويزاجع معهما دروس المدرسة فاذا احسن صلاح الاجابة اعطاه مكافأة من النعناع والملبس والشيكولاتة التى لا يخلو منها دوجه ابدا .

والتفت سباعى الى صلاح

ــ مبسوط منك عمك ياسين يا صلاح

ــ كل يوم اخذ انا النعناع والملبس والشيكولاته وعمر لا ياخذ

ــ انت اشطر من عمر

ــ بزمان

وقال سباعى :

ــ ما رايك أن تذهب أنت وعمر وعمتك عابدة وعمك ياسين الى الاسكندرية لتصيفوا هناك

والتفت الى قدرية وقال لها :

ــ وتكون هذه هى هديتنا الى ياسين وعائلته

وقبل أن تجيب قدرية يقول صلاح :

ــ ما الاسكندرية هذه يا بابا انا لم ارها عمرى

ويقول الاب فى سخرية :

ــ والله يا ابنى ولا انا ولكن ماذا افعل .. القلبة لها أحكام

وتقول قدرية وهى مترددة فى السؤال وكأنها تعرف الاجابة

ـ لماذا لا تريد صلاح أن يذهب الى البلد

ـ اريده بعيدا عنها

ـ الا ينبغى أن يتصل بالأرض

ـ ليس الآن .. حين يكبر

وفى خوف ودهشة قالت قدرية :

ـ اذا كنت لا تريده أن يعرف ما تفعله فلماذا تفعله

وفى حسم قال :

ـ أنت التى تقولين هذا يا بنت عز الدين الخولى دعى هذا الكلام لغيرك

ـ ومن قال لك انى كنت راضية عما يفعله ابى

ـ اذن فما دمت لم تكونى راضية فمن الطبيعى الا يذهب صلاح الى البلد ..

وحاولت أن تقول :

ـ ولكن ...

وقاطعها سباعى فى لهجة الصاتية التى اصبحت طبيعية عنده

ـ انتهينا .. لا مناقشة

ونكست قدرية رأسها فى استسلام

ـ امرك

ومر هذا النقاش على ذهن صلاح وكأنه لغة أخرى غير التى يعرفها فهو لم يفهم من الحديث شيئا وكان يفكر أن يسأل ولكنه حين رأى الطريقة التى ختم بها أبوه الحديث أخذه الرعب من ملامح أبيه ولهجته فنكس رأسه فى استسلام وراحت عيناه ترتفعان الى ابيه مخالسة ثم ترتدان الى أسفل كأنما يخشى أن يراه أبوه وهو يتجرأ على النظر اليه · ورمقه أبوه فى حالة هذه فحاول أن يزيل ما علق بنفسه من آثار الحديث

ـ وماذا يدرس لك عمك ياسين ؟··

ـ القرآن ··

ـ القرآن ؟··

ـ نعم ·· فأنا أحفظ الفاتحة وأحفظ الكثير من السور ·

ونظر سباعى الى زوجته وسألها :

ـ هل يدرسون لهم القرآن فى المدرسة ؟··

وقبل أن تجيب أجاب صلاح :

ـ لا ·· ولكن عمى ياسين يدرس لنا القرآن مع دروس المدرسة ··

ولم يجد سباعى شيئا يعلق به الا ان يقول :

ـ ما رأيك أن تذهب الى الاسكندرية ؟··

ـ انا لا اعرفها ··

ـ ستعرفها معا ··

ـ هل ستبقى معنا هناك ؟··

ـ اطل عليكم كما افعل هنا ·· هيه ما رأيك ؟··

ـ اريد أن اذهب الى البلدة ··

وحسم سباعى الموقف :

ـ ستذهب الى الاسكندرية ··

وفى الصباح توجه سباعى الى الاسكندرية وحين نزل من القطار سأل عن فندق وذهب الى فندق سيسيل ·

وهناك طلب من ادارة الفندق أن تدله على سمسار شقق وبدأه :

ـ أريد شقة ··

ـ للمصيف ؟··

ـ طبعـا ··

ـ تقصد مفروشة ··

وفكر سباعى قليلا فوجد نفسه لا يفهم السؤال فلم يجد بدا من أن يسأل :

ـ ماذا تقصد ؟٠٠

وفهم السمسار انه أمام رجل لم يطأ الاسكندرية من قبل فقال :

ـ هناك شقق يمكن ان تستأجرها طول العام وتفرشها أنت وهناك شقق تؤجر للصيف فقط وتكون مفروشة ويكون ايجـارها مدة الصيف فقط أو جزءا منه اذا شئت أنت وكيفك ٠

وفكر سباعي قليلا ٠٠

ـ والشقق التى أستأجرها طول العام افرشها أنا ؟٠٠

وقال السمسار :

ـ نعم وطبعا تستطيع أن تأتى اليهـــا فى الصيف وفى الشتاء كما تريد ٠٠ تصبح شقتك ٠٠

ـ وكم ايجار هذه وكم ايجار المفروشة ؟٠٠

ـ على حسب الحجم والمكان ٠٠

ـ اقصد الفرق كبير بين المفروشة وغير المفروشة ؟

ـ طبعا المفروشة تكون اغلى بكثير لأنك تستأجرها بفرشها ولمدة ثلاثة اشهر فقط على الأكثر ٠٠

ـ والسنة الجائية اذا أردت أن أصيف ؟٠٠

ـ نستأجر لك شقة أخرى ٠٠

ـ وأظل كل سنة أبحث عن شقة ؟..

ـ طبعـــا ..

ـ اذن فأنا لا أريد شقة مفروشة ..

ـ عظيم .. تريد شقة طول السنة ..

ـ طول السنوات ..

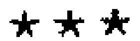
ـ طبعا .. العقد يتجدد من تلقاء نفسه ..

ـ أريد من هذه ..

ـ كم تريد أن تدفع ؟..

ـ أريد شقة واسعة وعلى البحر والفلوس لا تهم ..

وكان ما أراد ..



— ١٣ —

حين صدر قانون الاصلاح الزراعى الأول لم يمس سباعى فقد كانت ارضه لا تزيد عن المائة فدان الا قليـلا وكانت أرض زوجته تقارب السبعين فـدانا ٠٠ أما شعبان فقـد كانت أرضه تقارب المائة والأربعين فدانا ٠٠ ولكنه أحس بمـا تحمله هـذه القوانين فى طواياها فطلب الى سباعى :

ـ بع أرضى ٠٠

ـ ماذا تقول ؟٠٠

ـ انا لست فلاحا ٠٠ والدولة أصبحت لا تحب الملاك ٠٠

وفكر سباعى قليلا ٠٠ انه يرى فى كلام شعبان حقا ولكن بيع هذه الأرض سيجعل المساحة التى يشرف عليها تتقلص فنظر الى شعبان طويلا ثم قال :

ـ ما رأيك أبيع أرضك ولا أبيعها ؟٠٠

ـ وكيف ؟..

ـ اكتبها باسماء فلاحين اخرين واستكتبهم أوراقا بمبالغ من ثمنها ..

ـ الله اكبر .. احاول أن اهرب من الحكومة فاقع فى أيدى ناس الله أعلم بذمتهم ..

ـ أيجرؤ أحد منهم أن يطالب بالأرض ؟..

ـ يجرؤ أحد .. ويقول ان هذا البائع هو ابن عز الدين الخولى وانه اغتصب منا كمبيالات ... لا ... لا يا عم ... الا هذا .. وأنا ما حاجتى الى الأرض .. بعها يا سباعى .. واسمع منى نصيحة هذا الزمن يجب أن تعرف انه غير الزمن الذى نعرفه والله وحده يعلم ما مصير الملاك فيه ..

ـ والله كلامك معقول ..

ـ بع أرضى الآن .. وأنت اليوم تستطيع أن تحسن بيعها قبل أن تضيع منى

ـ وماذا ستعمل بالفلوس .. تصرفها على اياهن ؟..

ـ أنا أحب المتعة ولكنى صاحب أولاد وقد فكرت جيدا ..

ـ ماذا ستفعل ؟..

ـ ساعطى الفلوس كلها للأمير .. وان شئت أن تطمئن على سلمها أنت له ..

ـ وبعد ..

ـ سيضمهما فى أحد مشاريعه وسيعطينى مرتبا شهريا اكبر من ريع الأرض خمس مرات واخر السنة يعطينى بقية ارباحى ويبقى راس المال كما هو ‥ وحتى يزداد اطمئنانك سيضع المال باسم وليد وسمية بالنصيب الشرعى ‥

ـ وهو كذلك ‥

ـ كم يستغرق بيع الأرض ؟‥

ـ لو كان غيرى الذى يبيع لاستغرق بيعها شهورا قد تصل الى سنوات اما أنا ففى مدى شهر واحد ساكون قد بعت الأرض ‥

وانفذ سباعى وعده وكان الأمر ميسورا بالنسبة اليه فقد امر كل مستاجر فى الأرض أن يشترى الأرض التى يزرعها ولم يبالغ فى الثمن وسارع المستاجرون يشترون فقد كانوا على ثقة انهم لن يحصلوا على هذه الأرض تطبيقا لقانون الاصلاح الزراعى الذى سمح للمالك أن يستبقى مائتى فدان اذا لم يكن له ابناء وثلاثمائة اذا كان ابا ‥ وشعبان اب وأين مائة واربعون من ثلاثمائة ‥ ولم يكن عسيرا على المستاجرين أن يحصلوا على اثمان الأرض فمن لم يكن منهم ميسورا كان يسيرا عليه أن يستدين المبلغ أو يتقاسم الأرض مع ميسور على أن يسدد هو ما عليه على مدى الأيام ‥

باع سباعى الأرض جميعا وأبلغ شعبان بأن ثمن الأرض جميعه معه ‥ وقال شعبان فى فرحة :

ـ يعمر بيتك ‥ ما رايك ‥ الأمير هنا هذه الأيام سادعوه للغداء عندك بعد غد وسيتم كل شيء امامك ‥

ـ وهو كذلك .. يا مرحبا ..

وتم الأمر كما رتبه شعبان وأصبح شعبان لا يملك قيراطا واحدا من الأرض ..

★ ★ ★

كان سباعى قد انضم الى التنظيمات السياسية الجديدة ولهذا لم يكن عجيبا أن ترشحه الحكومة فى دائرة عز الدين الخولى .. وبدأت الانتخابات .. وطلب صلاح أن يأتى الى البلدة ليكون مع أبيه أثناء مروره بالدائرة . وأحب سباعى أن يشهد صلاح أباه والناس تهتف باسمه والخطب تلقى فى مديحه .. وجاء صلاح ورأى عجبا .. رأى أباه يمر بالدائرة ولكن محوطا دائما بالسلاح يشهره أبو سريع ورجاله ورأى فى نقاء صباه أن الناس تهتف ولكن العيون والوجوه لا تهتف .. وسمع الخطب تلقى ولكن الخطباء يتكلمون مذعورين .. فالأوجه منهم باسرة وعلى الجبين منهم حسرة وفى أصواتهم رنين المقهورين من الرجال فعل المغلوب على أمره لا اختيار له ..

قليلا ما بقى .. وعجب أبوه ألا يفرح صلاح بما يرى واستبعد أن يكون قد وصل ببصيرته الى خفايا النفوس .. وما كان يتصور أن الروح الشفيفة ترى من الأشياء ما تخطئه العيون .. وحزر أن يكون أحد قد همس فى أذن صلاح بجبروت أبيه ولكنه استبعد هذا الحزر أيضا فمن ذاك الذى يجرؤ على أن يقدم على هذه الهمسة .. اذن فلماذا يطلب صلاح أن يعود الى القاهرة ؟..

ـ ورائى مذاكرة ..

ـ الا تريد أن تنتظر حتى تعرف النتيجة ؟..

ـ المرشح الآخر واضح الضعف وانا واثق من نجاحك ..

وسافر صلاح عائدا الى القاهرة وفى نفسه الكثير مما لو أراد أن يعبر عنه لما استطاع .. انها مجرد مشاعر .. ان حاول أن يسأل ستة أو عمه أو عمته فانهم جميعا سيطلبون اليه الا يفكر فى هذا الذى يغشى طفولته وكيف لأم أو لأخ أو لأخت أن يشوهوا ابنهم او أخاهم أمام ابنه ؟..

طوى نفسه على ما بها وصمت ولكن نفسه أبت عليه هـذا الصمت .. قال لعمر :

ـ يا أخى سبحان الله .. هناك شىء فى البلدة لا أعرف كيف اقوله ..

ـ مـاذا ؟..

ـ الناس تخاف من أبى ..

ـ وماذا فى هذا ؟..

ـ الكلام معك لا يجدى ..

وانتظر فرصة فى فسحة الظهيرة وذهب الى زوج عمتـه فقد أصبح هو وعمـر تلميذين فى المدرسة نفسهـا التى يعمـل ياسين مدرسا بها . وكان صلاح يحس نحو ياسين بنوة صادقة يمازجها اعجاب شـديد .. فقـد استطاع ياسين أن يرسى فى نفسه حب الله والطمأنينة اليه بما علمه من الدين وما حببه فى

القراءة وفى كل المعانى التى أصبح صلاح يجد فيها سموا وقربا من السماء ٠٠ كما استطاع ان يجعله يحب ان يذاكر لا للنجاح ولكن للعلم ٠٠ وان كان صلاح فى سنه هذه الباكرة المتشوقة فى مطالع الشباب الأولى الى الغد لا يستطيع أن يقدر فضل ياسين عليه بالعقل والمنطق الا أنه كان يشعر بهذا الفضل بنقاء هـذه السن التى تتمازج فيها الطفولة مع الشباب ٠٠

ـ عم ياسين ٠٠ أريدك فى كلمة ٠٠

وكان ياسين فى حجرة المدرسين فقال :

ـ تعال ٠٠ وقل ٠٠

ـ لا ٠٠٠ اذا سمحت ٠٠٠ نتمشى فى الفناء ٠٠٠

ورأى ياسين على وجه الصبى الذى رباه خلجات لم يشهدها عليه قبل اليوم فقام اليه ٠٠ وقال صلاح فى لجلجة :

ـ لا أعرف كيف أبدأ ولكن أنا لم أكمل الانتخابات مع أبى ٠

ـ أعرف ذلك وحسنا فعلت حتى لا يفوتك شىء من الدراسة ٠

ـ هذا ما قلته له ولكن ليس هذا ما جعلنى أترك المعركة الانتخابية ٠٠

وصمت ياسين قليلا ثم قال :

ـ الحق أنا دهشت لهذا الذى فعلته ٠٠ فالشباب فى سنك يحبون هذه المعارك ويسعون اليها فما الذى جعلك تترك هذه المتعة ؟٠٠

ـ كانوا يهتفون لأبى ويلقون له الخطب ويدقون الطبل والزمار ··

ـ الم يسرك ان تجد أباك محبوبا ؟

ـ هذا هو ما أزعجنى ··

ـ الا تحب أن تراه محبوبا ·

ـ بل لا اتمنى شيئا فى حياتى قدر أن يكون ابى محبوبا ·

ـ الم يكن ما رأيته علامات الحب ؟··

ـ بل هو علامات حب ··

ـ اذن ؟··

ـ علامات غير صادقة ·· رأيت فى العيون خوفا ورأيت فى القلوب رعبا ·· لم يكن الحب هو الذى رأيته ··

وأطبق الصمت بين المتحدثين تماما ·· اما ياسين فلا يدرى ماذا يقول ·· أيقول انه انقطع عن الذهاب الى البلدة حتى لا يسمع ما يصنعه نسيبه بالناس ·· ايروى لهذا الفتى الغض كيف جمع أرضه وهو لم يرث عن أبيه الا عشرها تقريبا وما ذنب صلاح فيما صنع ابوه ·· ولكن هو يعرف منزلته عند صلاح ولا يحب أن تهتز هذه المنزلة ·· من أجل مستقبل صلاح نفسه لاينبغى أن تهتز هذه المنزلة ·· واذا كذب عليه اليوم فهو فى غد سيعرف الحقيقة فكيف ستكون نظرته اليه ·· ربما يدرك ويقدر ولكن اذا أحس أن أستاذه وزوج عمته الذى كان منه دائما بمكان الوالد

يكذبه فمن يصدق اذن واين ينشد الصدق اذا لم ينشـده عند الانسان الذى يعتبره بغريزته الصافية اباه الروحى .. ولمـاذا لم يوجه هذا السؤال الى عمته بل لماذا تحرى أن يأخذ فى هذا الحديث معه في المدرسة وهو قادر دائما أن يحادثه فى البيت الذى يعتبره بيتا ثانيا له . او لماذا لم يسأل جدته أو عمه .. لقد خشى أن يحرج أحدا منهما والوحيد الذى القى اليه بثقتـه هو أنا ..

وتقبل صلاح الصمت الطويل متصـورا انه لم يستطع أن يحسن البيان عما يجيش بصدره .. وأخيرا تكلم ياسين ..

ـ صلاح .. اسمع .. انك غير مسئول عن ابيك ..

ـ ولكنه مسئول عنى ..

ـ ولكنك غير مسئول عنه ..

ـ ولكن الناس تنسبنى اليه وأنا ابنه فعلا ..

ـ هذا يجعله مسئولا عن الانفـاق عليك ولكن حين تخرج الى الحياة ستكون وحدك فى مواجهتها فهى لن تعرف الا انت.. وانى أراك تحسن اعداد نفسك لمواجهتها وحينئذ لن يقول الناس من أبوه وانمـــا سيتعاملون مع موقفك منهم ومع موقفـك من الحياة ومن البشر ومن الانسانية .. وحينئذ يصبح أبوك أيضا وهو غير مسئول عنك .. انه لم يقصر فى شأنك ..

ـ وهل المسئولية مال فقط يا عمى ياسين افندى ؟ ..

ـ انه اطمأن انك معى وانى احسن القيام بشأنك وانا احسن حظه او احسن حظك مدرس ايضا والتعامل مع الناشئين هو صناعتى وليست صناعته ..

ـ اسمع يا عمى ياسين أفندى انك أجبت احسن اجابة وانى اشكرك ولقد قلت أكثر مما توقعت أن أسمعه منك .. لن افتح هذا الموضوع معك مرة أخرى ..

ودق جرس المدرسة وذهب المدرس الى مكان المدرس والتلميذ الى مكان التلميذ .

★ ★ ★

توفيت نبوية واتصل خليل بأخيه واخبره :

ـ ساقيم المأتم وانتظركم ..

ـ لا تقم المأتم ..

ـ ماذا ؟! كيف ؟!

ـ لقد طلبت أن يكون العزاء فيها امام بيتى ..

ـ امرها .. اجىء فورا ..

ـ بل انتظر ..

ـ مـاذا ؟!

ـ لقد طلبت أيضا أن تدفن الى جانب أبى قاعد مكانهـ وتعال لتتقبل العزاء ..

★ ★ ★

حدث انفصال سوريا وصدرت القوانين فى مصر بمصادرة شركات وأموال ٠٠ وهكذا فقد خليل أغلب أمواله فقد كان يضع كل ربحه من الطب فى الأسهم شأن أغلب الأطباء وكان رأيهم أنهم ليسوا فلاحين وأن عملهم فى العيادات وفى المستشفيات لن يسمح لهم أن يباشروا أرضهم حتى ولو كانوا من هواة الزراعة ٠٠ فاذا أرادوا أن يبنوا عمارات فهم قد رأوا ما حل بأصحاب العمارات من أموال فلم يكن أمامهم الا الأسهم تعطيهم عائدا دون أن تتطلب منهم مباشرة ودون أن تعرضهم لما يتعرض له أصحاب الأملاك كافة أرضا كانت هذه الأملاك أو كانت عمارات ٠

وهكذا لم يبق للدكتور خليل الا أوشال وضاع عليه جهد السنين الطويلة التى عاناها والتى كان يأمل أن يجد فيها موئلا حين يفكر ابنه وهدان فى الدراسة بالخارج أو حين يأتى اليوم وتتزوج ابنته نبوية ٠

سبحانك يا رب ٠٠ أهذه هى العدالة الاجتماعية ٠٠ أخى الذى جمع ماله بهذه الوسائل لا يمسسه شىء وأنا الذى جمعت مالى بما يرضيك أصاب بهذه المصيبة ولكنه سرعان ما نفض عن نفسه هذا الخاطر ٠٠ أن الله عادل والذى أنزل بى هذا الخراب بشر من البشر ٠٠ ولا يجوز لى أن أنفس على أخى أنه لم يمس ٠٠ ولكنها هواجس نفسى وليس لى فيها حيلة ٠٠ الأمر لله من قبل ومن بعد ٠٠

أما فاطمة وعابدة فقد أصابتهما القوانين فى دخلهما ولم تصبهما فى رأس المال فقد كان بطبيعته أقل من الحد الأدنى الذى أعفاه القانون ٠٠

ولكن المصيبة الحقيقية هى تلك التى نزلت بعد أيام بقدرية زوجة سباعي الذى أصبح عضوا بمجلس الأمة ٠٠ فقد صدر قرار بمصادرة أموال أبناء المرحوم عز الدين الخولي وابنته ٠٠ ونزل القرار بسباعي فاجعة قاصفة ٠٠ وراح يطرق الأبواب بكل الوسائل التي يستطيعها ولكن هيهات ٠٠ لا سبيل ٠

ليس عجيبا أن يكون سباعي وحده هو الذى أحس بهول الكارثة فقدرية لم تكن تدرى عن الأرض شيئا وهى تعيش فى حمى زوجها وتعلم أن شيئا لن ينقصها وما كانت مطالبها تزيد عما تحتاجه حياة طيبة ليس فيها هوان وليس فيها أى بذخ ٠٠ أما المشاعر التي كان من المفروض أن تشترك فيها مع زوجها فهى لم تكن موجودة بينهما فى أى شيء حتى تجمع بينهما فى هذه الكارثة ٠٠ وبلطف من الله كانت قدرية تحس أن غنى ابنها صلاح لن يكون بمال أبيه وانما بعلمه الذى ظل متفوقا فيه دائما ٠ وهو فى هذا العام مقبل على امتحان الثانوية العامة وهى تريد أن يكون الصفاء مخيما على البيت حتى لا تتأثر نفس صلاح بأى عامل خارجى ٠٠

أما صلاح فلم يكن يعرف عن أرض أبيه شيئا وانما هو مشغول بالعلم وبالقراءة وبالشباب وبصداقاته فى المدرسة يريد أن ينسى ما وسعه الجهد ما رأى من خوف الطبالين والزمارين والهاتفين لأبيه وأصحاب الخطب التى كانوا يلقونها فى مدحه وقد وجد بغيته بالاقبال بالحياة على الحياة ٠٠ والقى نفسه فى دفاعها يتعلمها منها ومما يكتب الكتاب ومما يؤلف الفنانون فى الموسيقى والرسم ٠٠ ومن التاريخ الذى كان يعتبره السيرة الذاتية للحياة كتبها عنها أبناء لها منهم الصادق ومنهم المتحمس

الذى يميل به تحمسه عن الصدق الى الهوى · وكان يحلو له ان يرى تصارع هؤلاء المتحمسين ويرى كلا منهم وهو واقف على طرف قصى من أطراف الحقيقة وعرف صلاح التيارات الدينية والتيارات الملحدة ·

وناقش كل الآراء مع عمه ياسين وكان يقبل رأيه حينا ويرفضه أحيانا ولكنه كان يحترم الرأى وصاحبه دائما ·

وحين صودرت أموال أمه كان يدرك أن هذا لن يؤثر على حياته فى شيء ولم يكن يهمه الا أن تظل حياته كما هى حتى يتم تعليمه ثم يتفرغ بعد ذلك لما يحاول أن ينساه مما رآه فى الانتخابات ·· فموقفه الذى اتخذه بالتباعد عما رآه فى الانتخابات وعما استشفه من حديث ياسين لم يكن الموقف النهائى له وانما كان موقف الذى يؤجل المواجهة الى اليوم الذى يستطيع فيه أن يواجه وهو قادر حتى تكون للمواجهة يومذاك قيمة ولا تكون مجرد احتجاج كاحتجاجات هيئة الأمم ··

ولم تكتف الأيام بهذه الصاعقة تنزلها بسباعى بل نزلت به صاعقة أخرى فقد صدر أمر بترحيل أبو سريع الى جبل الطور مع المجرمين الذى يخشى على الأمن منهم · وراح سباعى يبذل مساعيه للافراج عنه وفى هذه المرة تجح سعيه وعاد أبو سريع الى البلدة وأمر سباعى فاستقبله الطبل والزمر والفرح ولكن ما هى الا أيام لا تصل الى الشهر حتى جاء النبأ لسباعى أن أبو سريع قتل وهو عائد فى الليل من البندر · وحاول سباعى أن يتماسك وجعل سلام كبير مجرميه بعد أبو سريع ولكن أين الوشل من الغمر وأين التلميذ من الأستاذ ·

★ ★ ★

— ١٤ —

التحق صلاح بكلية الحقوق وقد انتسب اليهـا عن رغبة وليس بارغام من المجموع فقـــد كان مجموعه يؤهله لأى كليـة يختارها وهناك تعرف باصدقاء جدد الى جانب من التحق معـه بالكلية من زملاء دراسته الثـانوية ·· وكانت معــه فى نفس السنة عديلة · اعجب بها منذ وقعت عينه عليهـا ·· وما أيسر ما عرف اسمها عديلة عبد الغنى الزاهد · ولكن فى زحام الطلبة لم يكن يعرف عن أبيها شيئا الا اسمه أما وظيفته ·· أما بلدته ·· ولكن ماذا يهمنى من وظيفته أو بلدته ·· وماذا يهمنى أيضا من عديلة ·· انها جميلة وفقط ·· وانا لست قادما الى هنا لأحب فللحب امكنة أخرى ·· ولكن البنت حلوة ·· وحلاوتها جعلتنى اعرف اسمها والأمر عندى ينتهى الى هذا الحد ·

ولننظر بعد ذلك فى امر هذه الكلية التى تحمل اسما من اشرف اسماء التاريخ ·· الحق وهو اسم من اسماء الله الحسنى ·· وان من أسمى معانى الحيـاة أن يعرف الانسان الحق ·· ويقف عنده ·· ترى لو لم تحدث لى هذه الحادثة التافهة فى أول

سنة لى فى المدرسة الاعدادية اكنت انتسبت الى كلية الحقوق ··
من يدرى ·· لماذا لا تريد هذه الحادثة أن تفارقنى ·· أهى
حادثة ·· انها واقعة صغيرة ·· ولكنها فى حياتى كانت حادثة
بل هى الحادثة الوحيدة التى ارتكبتها لماذا لا تريد أن تبارحنى
·· كان ياسين افندى يدرس لى القرآن . فى الليلة السابقة على
هذه الحادثة وكان يشرح لى أن السرقة حرام وأن الذى يسرق
يعاقبه الله ·· وفى اليوم التالى كان علينا حصة حساب بعد
الفسحة مباشرة ·· وبدون أى مناسبة ذهبت الى الفصل قبل أن
يدق جرس الحصة وجلست الى الدرج اعيد النظر فى واجب
الحساب ووجدت زميلى عبد التواب تاركا قلم حبر على درجه ··
القلم رخيص كل الرخص ·· ولكننى قلت فى نفسى سأسرق هذا
القلم وأرى ان كان الله سيعاقبنى أم لا ·· وبفكرة السرقة وحدها
اخذت القلم ·· ربما لو كنت اخذته دون تفكير فى السرقة كان
الأمر غدا ختلف وانما انا استوليت عليه بقصد السرقة واعلنت
هذا لنفسى · وبدأت اوضح بالقلم ارقام مسألة حسابية من مسائل
الواجب ·· أمر عجيب ·· القلم جديد ·· فما هذا الذى حدث··
كيف انكسر دون أى ضغط منى عليه ثم انتثرت الحبر منه على
الواجب كله حتى لم يبق فى الصفحة مكان لم ترتم عليه بقعة
حبر ·· اكل هذا الحبر كان فى هذا القلم الصغير ؟

عرفت الحياة بعد ذلك وعرفت أن الله لا يعاقب كل السارقين
من الحياة فى الحياة وانما عقابهم فى الآخرة ·· وجعلتنى هذه
المعرفة أوقن أن الله يرعانى بعنايته وانه أنزل بى العقاب عند أول
سرقة لى ·· وهو وحده يعلم اى طريق كنت سأسير فيه لو لم
يردعنى فى بادرتى الأولى ·· أم ترى من حقى الآن أن أقول فى
حادثتى الأولى والتى اصبحت أخيرة ·

أهذا ما جعلني أختار كلية الحقوق ؟٠٠٠ إن الذين انتسبوا اليها معي عن اختيار قلة نادرة فاغلب زملائي فيما رمى بهم اليها المجموع ٠٠ لماذا ٠٠ لماذا يرفضون الالتحاق بكلية الحقوق ٠٠ اتراننا اصبحنا في زمن لا حقوق فيه ٠٠ هل ضاع في زماننا حق الله وحق الوطن وحق الأسرة وحق الناس ؟٠٠ والا فما انصراف الشباب عن كلية الحقوق لا يلتحقون بها الا مرغمين ٠

ربما جعلني هذاالتفوق في دراستي ٠٠ ولكن هل التفوق على الضعاف قوة ٠٠ ليس النجاح في الكلية الآن هو المهم ٠٠ انما يوم اكون محاميا او وكيلا للنيابة واتفوق على الظلم وعلى الجشع وعلى نفسي ٠٠ يومئـذ اسـتطيع أن أدعي لنفسي انني تفوقت ٠

★ ★ ★

كان صلاح حريصا على أن يزور عمه كل فترة وكان يجد منه لقاء رحبا ٠ وقد حرص أن يذهب اليه بعـد القوانين التي اتت على الجانب الأكبر من مدخراته وفرح بعمه وهو يجده يقوم بعمله في العيادة وكأن شيئا لم يكن ٠

ـ المصيبة يا صلاح ليست في حجمها وانما في الحجم الذي تحس به انت وفي المكان الذي تنزلها فيه من نفسك ٠٠ وقـد علمتني مهنتي أن أرى الناس ٠ وجدت بعض المرضى مصـابا بالأنفلونزا وهو مع ذلك هالع مرعوب كأنما هي كارثة الكوارث ٠٠ ووجدت آخـرين من ذوي العقول الناضجة والعـلم الواسع والايمان الراسخ مصابين بأمراض تجعل الموت اليهم أقرب من حبل الوريد ومع ذلك كنت أجدهم كالجبال الرواسي لا يحركهـا شيء بل وجدت من هو سعيد فرح أنه سيلاقي ربه ٠٠ فما المال

يا بنى ·· انا الذى جئت به وانا القادر على أن أجيء به مرة اخرى ·· وانما قل لى ما الذى جعلك تاتى وقد اقتربت من امتحان الثانوية العامة ·

ـ احببت ان اطمئن عليك ··

ـ لفتة عظيمة منك هذه يا أبو صلاح ·· انت مصمم على الحقوق ··

ـ ان شاء الله ··

ـ حين تعرف اساتذتك أخبرنى عنهم فأن لى أصدقاء كثيرين فى الكلية ··

ـ وماذا أريد منهم ؟··

ـ أعرف همتك ·· ولكن تعرفك بهم يجعلك تقصد اليهم فى غير حرج اذا أردت شرح شيء او التوسع فى موضوع على كل حال التعرف بالأساتذة ينفع ولا يضر ··

ـ فعلا ·· حاضر ساخبرك باسمائهم ·· ولكن اين أنا من أسمائهم وأنا لم أمتحن بعد فى الثانوية العامة ؟··

ـ نجاحك مضمون وحتى أكون أكثر تأكدا تفضل بالذهاب الى المذاكرة ·· ولا أراك الا بعد الامتحان ·· وأرجوك بل امرك أن تاتى الى فى اليوم الأخير من الامتحان لأطمئن ··

ـ حاضر ··

ـ قبل سفرك الى الاسكندرية ··

ـ حاضر ..

ولم يستطع صلاح أن يجد عمه في العيادة يوم انتهى من الامتحان وسافر الى الاسكندرية وعرف النتيجة والتحق بالكلية وعرف اسماء الأساتذة وأحس انه تأخر عن زيارة عمه فقصد اليه بعد اسبوع من الدراسة كان مشغولا فيه بالتعرف على الحياة الجامعية الجديدة عليه .

ماذا يدبر القدر .. ما الذى اتى بعديلة هنا .. ومن هذا الذى بجانبها ؟.. أيسلم عليها .. وكيف ؟.. انها تعرفه فقد رأته مدة الأسبوع كله وهو يحملق فيهـــا .. جمع اطراف شجاعته :

ـ مساء الخير يا انسة عديلة .. انا زميلك صلاح سباعى وهدان ..

ـ مساء الخير .. أهلا وسهلا .. هذا ابى ..

وقال الأب وهو يحاول أن يرغم نفسه على تقبل الأوضـــاع الجديدة للشباب :

ـ أهلا يا بنى .. مساء الخير ..

وأبى صلاح أن يفوت الفرصة :

ـ خيرا .. ماذا تفعلين هنا ؟..

ـ ابى متعب قليلا ..

ـ وهل اليك الوالد من زبائن الدكتور خليل ؟ ..

قال الأب فى اختصار من يريد أن ينهى الحديث :

ـ نعم ..

وقال صلاح فى دهشة :

ـ هذا شرف لنا كبير ..

ودهش الأب لحظة ثم قال :

ـ ما اسمك قلت ؟..

وابتسم صلاح وقال :

ـ نعم وهدان جدى هو والد الدكتور خليل وهدان ..

وابتسم الأب واحس بنوع من هدوء بعد بوادر ثورة من غضب :

ـ أهـلا يابنى ونعم الناس .. انا اعرف عنك منـذ بدأ اشتغاله بمهنة الطب .. كنت أنا موظفا صغيرا لا احتمـل اجر الدكاترة الكبار ودلنى عليه أحد الزملاء .. ونعم الناس يابنى .

ـ سلامتك يا عمى ..

ـ والله يابنى الكبد .....

ووجـد صـلاح نفسه قد نجح نجـاحا باهرا فليس أحب للمريض من أن يروى عن مرضه ويجد من يسمع له .

★ ★ ★

— ١٥ —

لو ترك سباعى مقتل ابو سريع يمر دون ان يهتم به اهتمام الانسان على خاصة حياته لكان معنى هذا قاصما بالنسبة له ٠٠ فان هذا يحمل فى طواياه تهديدا مباشرا لسباعى ٠٠ والقاتل يعلنه انك لست عنا ببعيد نقتلك حين نشاء فحياة سباعى اذن اصبحت اسهل شىء منالا ولم يكن سباعى يحب ان يموت ٠٠ والأمر الذى لا شك فيه ان مقتل ابو سريع ضياع لهيبة سباعى واعلان انه لم يصبح مرهوب الجانب فى المنطقة ٠

سارع سباعى الى المأمور :

ــ ارى انكم لم تهتموا بالبحث عن قتلة ابو سريع ٠٠

وكان المأمور يعرف كل شىء عن سباعى وصلة ابو سريع به فقال له فى جفاء صريح :

ــ هذا ليس من شأنك ٠٠

ـ انا عضو مجلس أمة ومن واجبى المحافظة على الأمن ٠

ـ الظاهر ان سيادتك لا تعرف واجبات وظيفتك وحقوقها ٠

ـ نتعلم من سعادتك ٠٠

ـ بل ويعلمك تلامذتى يا سيد سباعى فالـذى أعرفه عن مدى ثقافة سيادتك يسمح لتلامذتى أن يعلموك ٠٠

ـ انا عضو مجلس أمة ٠٠

هذا لا يدل على ثقافة ٠٠

ـ وابنى طالب فى كلية الحقوق ٠٠

ـ وهذا ايضا لا يدل على أن سيادتك مثقف ٠

ـ اذن ؟٠٠

ـ اذن فيجب أن تعلم ان وظيفة عضو مجلس الأمة داخل مجلس الأمة فقط وليست خارجه ٠٠ وان المحـافظة على الأمن من اختصاص وزارة الداخليـة فقط واذا رأيت علينـا اهمـالا فتستطيع أن تتقدم بسؤال او استجواب داخـل مجلس الأمة ٠٠ ولكن الصلة الرسمية بينى وبينك مقطوعة تماما ٠

كارثة أخرى ، لم يكن رجال الداخلية يكلمونه بهذا الجفاء وهو اشد ما يكون حاجة الى هؤلاء الرجال ٠٠ وان يكن سباعى الذى طغى وتجبر قد صار متعودا ان يقول فلا يناقشه أحد فان سباعى الذى قبل يد سليمان النزاوى مازال فى داخله فان المجرم

البعيد عن الحق هو مع جبروته اشد الناس هلعا اذا واجهه الحق او واجهته السلطة .. والرجل الذى يتسافله الجبناء خوفا من بطشه هو اكثر الناس خبرة بالنفاق اذا اقتضى الأمر منه نفاقا ..

واحس سباعى من كلام المأمور المستخف كل الاستخفاف بمنصبه فى البرلمان ان الحكومة تريد ان تؤمم الأجرام كما اممت الشركات والأرض .. انها حكومة لا تريد احدا ان يسرق او يقتل او يذل الناس غيرها هى .. هى وحدها صاحبة الحق فى السرقة والقتل والاذلال .. وهى لا تريد ان تراعى زملاءها من الأفراد والا فما لهذا المأمور يخاطبه بكل هذه الاستهانة ..

وهكذا لم يكن عجيبا ان يتصاغر سباعى فاذا هو قطيطة مذعورة وما أسرع ما قال :

ـ ومن قال يا سعادة البك اننى قصدت اليك بصفة رسمية .. ومن قال يا سعادة البك اننى لا أحب أن اتعلم منك ما لا أعلمه .. أنت راجل سمعتك مثل المسك وحياة النبى .. والمديرية كلها تحبك وتعمل لك الف حساب ..

ـ ياسيدى كثر خيرك .. مادام الأمر كذلك فأنا اقول لك ما تشاء عن مقتل أبو سريع .. أعداء أبو سريع كثيرون وهو كما تعلم جيدا مجرم محترف ..

وضغط المأمور بقوة وهو يقول كلمة « جيدا » وأصابت الكلمة موضعها تماما من كيان سباعى واكمل المأمور حديثه :

ـ له عند الكثيرين ثارات وما اكثر ما قتل وما اكثر ما سلب ونهب ولذلك فاننا فى هذه الحالات نعلم علم اليقين أن

البحث عن قاتله والعثور عليه أمر يوشك أن يكون مستحيلا ‥ قد يكون القاتل احد رجاله أنفسهم فالذى يقتل مرة يسهل عليه أن يقتل لأقل سبب ‥ قد يكون أساء الى سلام مثلا فقتله سلام او قد يكون سلام طامعا أن يحل محله فى رئاسة العصابة كما حصل ‥

وقال المأمور الجملة الأخيرة فى تؤدة وفى تفصيل واضح فيه القصد الذى يهدف اليه وأدرك سبأعى الاشارة ‥ أولاد المغربية هؤلاء لا تخفى عليهم خافية ‥

وأكمل المأمور كلامه :

ـ ولهذا فقد قمنا بكل التحريات الممكنة ولم نصل لنتيجة لأن الذين نسألهم واحد من ثلاثة اما لا يعرف شيئا وهذا طبعا لن نأخذ منه حقا ولا باطلا ، واما يعرف وفرحان وهذا أيضا سيبالغ فى اخفاء ما يعرفه ولا امل لنا فيه ، واما يعرف وخائف من القاتل أن يقتله وهذا لا حيلة لنا معه ‥ فاذا كنت سيادتك تعرف شيئا وتريد أن تمدنا به أكون شاكرا ‥

ـ شيئا ‥‥ مثل ماذا يا حضرة المأمور ؟‥

ـ مثل أبو سريع قتل من اغتصب مال من حرق غيط من هذه المعلومات ‥ ستنفعنا كثيرا ‥

يا نهار أسود من الحبر الكوبيا ‥ هذا الرجل يريدنى أن أقول أن أبو سريع قتل متولى أبو منصور واحرق غيط حسن أبن عبد الحميد أبو ديدة وهدد سليمان النزاوى والسؤال التالى من الذى استفاد من هذه الجرائم ‥ وأروح أنا فى ستين

مصيبة ٠٠ انا غلطان من الأول أن جئت لهذا الداهية ٠٠ تنبه سباعى الى ما يحيط به فوجد نفسه على شفا ان يكون متهما وهو الذى جاء ممتلئا بالكبر ليعلم الداخلية واجباتها ٠٠ قال للمامور:

ـ وهل تظن سعادتك أننى أعرف شيئا وأخفيه ؟

ـ من جهة اظن ٠٠ نعم أظن ولكن للأسف لا دليل عندى على الاطلاق ٠

ـ ومن أين هذا الظن ؟

ـ هذا عملنا يا سيد سباعى ٠٠ أن نبدأ بالظن ٠

مصيبة سوداء ٠٠ الرجل يهددنى تهديدا صريحا ٠٠ لا ٠٠ القيام احسن حاجة اعملها الآن ٠

ـ الحمد لله يا سعادة المأمور انك تظن فقط ٠٠ وستعرف مع الأيام انك لست محقا فى ظنك ٠

ـ هذا ما أرجوه يا سيد سباعى ٠٠ لأن الظن فى اعضاء مجلس الأمة الذين رشحتهم الحكومة وعملت على انجاحهم امر لا نحبه نحن العاملين فى نفس الحكومة ٠

ـ ربنا يديم المودة يا سعادة البك ٠

ـ هى دائمة طالما انت مع القانون ولست ضده يا سباعى٠

ـ أستاذن انا ٠٠

ـ مع الف سلامة ٠٠

لا امل له اذن ان يعرف قاتل أبو سريع من الجهات الرسمية ·· لم يبق امامه الا تحريات الخاصة وقد بدأها فور عودته ·

ــ سلام ·· أليس بينك وبين أبو سريع عيش وملح ؟

ــ وعيش ودم وحياتك ياسعادة البك ·

ــ فكيف نترك قاتله بغير عقاب ؟

ــ اعرفه ويموت قبل أن تطرف عينه ··

ــ أليس من واجبنا نحن أن نعرفه ؟

ــ وماله ·· نبحث ··

ــ في البلد هنـــا أولا ·· شف لي أين كـــان حسن ابن عبد الحميد أبو ديدة وأين كان شاكر وعبد التواب أولاد متولى أبو منصور ·· وأين كان سليمان النواوى · طبعا هو لن يقتل بيده وانما اعرف لي من زاره أو هو زار من ·

ــ يا سعادة البك سليمان لا يخرج من الدار مطلقا ··

ــ اعرف لي من زاره ··

ــ أمرك ··

أما حسن أبو ديدة فهو منذ اغتصب منه سباعي الأرض لا يبرح دكانه يحاول أن يعوض بالعمل ما ضاع من ريع الأفدنة ·· وقد اشترى بثمن الأرض حجرة بجانبه وفتحها على للدكان فاتسع المكان وما ان بلغ ابنه الأكبر عبـــد الحميـــد السن التى

يستطيع فيها أن يتعلم الصنعة حتى أجلسه معـه وراح يعـلمه الخياطة بكل ما يملك من مهارة ‥ كان الطفل ذكيا واستطاع أن يكون تلميذا موفقـا لأبيه وفى نفس الوقت أرسل ناصح ابنـه الأصغر مع ابنتيه الى الكتاب وحين أتم ناصح حفظ القران أرسل به الى الازهر الشريف حتى يستطيع أن يفى بنفقاته الى نهـاية التعليم ٠

وكان عبد الحميد الابن الأكبر جالسا فى الدكان حين جاء مرسى الشحات أحد رجال سلام ومعه قطعة قماش :

ــ أين ابوك يا ولد ؟

ــ ما ولد هذه ‥ أكنت خادم أبيك ؟‥

ــ ياسيدى ولا مؤاخذة ‥ أين أبوك ياسى عبد الحميد ؟-

ــ ومن غير سى ‥ عبد الحميد كفاية ٠

ــ نهارك أسود ‥ أين أبوك يا عبد الحميد ؟

ــ فى البيت ‥ لماذا تريده ؟

ــ أما عجيبة هو ترزى وانت شايف فى يدى قطعة قماش فيم سأريده ‥ ويقولون عنك ناصح ‥

ــ ناصح أخى ‥

ــ طيب ياسيدى ‥ يقولون عنك فالح ٠

ــ أنا اسمى عبد الحميد ٠

ـ اسمع يابنى لو قابلت كل الزبائن بهذه الصورة فالمؤكد انك انت وأبوك واخوتك لن تجدوا قوت يومكم ‥ يا اخى قل لى اين أبوك ؟

وخرج عبد الحميد من باب البيت المفتوح على الدكان ‥

ـ حاسب على الولد يا مرسى وهل هو قدك؟

ـ انت سامع الحديث ‥

ـ من أوله ‥

ـ ولماذا تأخرت ؟

ـ لم اتأخر وانما كانت فى يدى قطعة قماش انقمها ‥ تحت أمرك ‥

ـ القطعة هذه اشتريتها من البندر ·

ـ وماله ‥ ألف مبروك ‥

ـ أريدها جلبابا على ذوقك ‥

ـ أول مرة تأتى الى ‥ طول عمرك تفصل عند عطية ·

ـ أتلف لى الجلباب الأخير فأقسمت ألا اذهب اليه ·

ـ أمرك يا سيدى نفصلها لك ‥ خذ مقاسه ياعبد الحميد·

ـ خذه انت ‥

ـ وانت لماذا لا تأخذه ؟

ـ يدى مشغولة ٠

ـ امرك ياسيدى ٠٠ اصل الزمن انقلب ٠٠ تفضل ياسى مرسى ٠٠

وبدأ مرسى الحديث الذى جاء من أجله :

ـ المديرية مقلوبة على رجل ٠

ـ لماذا كفى الله الشر ؟٠

ـ من أجل مقتل أبو سريع ٠

ـ هل عرفوا القاتل ؟

ـ ابدا ٠٠

ـ عجيبة !٠٠

ـ والأعجب ان كل حادثة مثل هذه نسمع كلاما ربما يكون اشاعات كاذبة انما نسمع ٠٠ أما هـذه المرة ولا حتى سمعنا شيئا ٠

ـ الناس ملهية فى مشاغلها ٠٠

ـ طول عمرهم مشغولون ومع ذلك يحبون الكلام أكثر من عيونهم ٠ فى هذه المرة لا حس ولا خبر ٠٠

ـ عجيبة !٠٠

ـ ولكن كيف عرفت بقتله ؟٠٠

ـ مع الناس ..

ـ اين كنت ؟..

ـ انت تعرف انني لا اترك الدكان مطلقا .

ـ يعني لم تسمع شيئا ..

ـ نهائيا ..

ـ طيب ياسيدي شكرا .. متى استلم الجلباب ؟..

ـ اعطني يومين فقط ..

ـ وهو كذلك .. السلام عليكم ..

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ..

وانصرف مرسي والتفت عبد الحميد الى ابيه في غيظ ..

ـ تفصل له ايضا ؟..

ـ يا ولد اعقل وافصل لأبيه ايضا .. وافصل لسلام اذا طلب مني ذلك ..

ـ ليس هذا غريبا عليك مادمت ضعفت امام تهديدهم .

ـ يا عبد الحميد يا ابني انت تمزقني بسكين بارد كلما قلت ذلك .. يا ابني انا ليس لي أمل في الدنيا الا ان اكون امامك وامام اخوتك رجلا قويا ..

ـ وهل يقبل القوي التهديد ؟

ـ عصبا عنــه اذا هدده من هو اقوى منه ‥ مــاذا كنت تريدني ان افعل ؟

ـ اترك البلد ‥

ـ وهل لو كنت تركتها كنت ساحمل فداديني على كتفي ؟.

ـ لا أعرف ماذا كان يجب ان تفعل انما المهم الا تقبل التهديد

ـ انت تعــرف اللي حاولت فاحــرقوا المحصــول وسرقوا البهائم وكانت الخطوة التالية أن يقتلوني ٠

ـ ولا عار الذل ‥

ـ ومن كان سيربيك انت واخوتك ‥ اكنت اترككم تمدون أيديكم للحسنة ‥

ـ كلما سمعت اسم سباعي زفت أو شفت أحدا من رجاله تركبني عفاريت الدنيا ٠

ـ مصيــرك تتغلب على العفاريت ‥ انمــا يا ابني خف الوطأة عني ٠ فلا شيء يقتل الأب مثل شعوره أن ابنه لايحترمه ٠

ـ انا فقط اشفق عليك ٠

ـ وهذه يا ابني ادهى وأمر ‥ حسبى الله ونعم الوكيل ٠

★ ★ ★

حين ذهب مرسى الى سليمان النولوى قال له :

ـ كيف الصحة يا عم سليمان ؟

ـ أهلا مرسى ·· عجيبة ··

ـ ما العجيبة ؟··

ـ الزيارة ··

ـ قلت اطمئن على صحتك ··

ـ أى صحة التى تريد ان تطمئن عليها ·· انا انتظر عزرائيل من سنوات ولم تحاول أن تطمئن على صحتى وعزرائيل هو الآخر تأخر فى الوصول ·· تأخر جدا يا مرسى يابنى ··

ـ وفيم العجلة ؟

ـ حتى يعفينى من رؤيتك ورؤية أمثالك ياسى مرسى ·· اسمع يابنى أنا عجزت نعم ولكن بعقلى كما هو رغم كل ما شفته فى الحياة ·· انت تريد أن تعرف منى معلومات عن قتل المرحوم ابو سريع ·· وطبعا لا انت تتصور ولا سيدك ولا سيد سيدك اننى سأقتله ·· لم يبق الا ان أسلط عليه ولو كنت افكر هذا التفكير لفعلتها منذ استوليتم على أرضى ·· قم يا مرسى مع السلامة ولا تضيع وقتك وابحث عن غيرى ··

ـ كـــذا ··

ـ وهل هناك غير كذا ؟

ـ أمرك ·· سلام عليكم ·

★★★

كان شاكر وعبد التواب معا فى الغيط وقدم اليهما مرسى رآه شاكر مقبلا عليهما من بعيد فالتفت الى أخيه :

ـ يعنى أخبطه بالفاس واخلص ؟

ونظر عبد التواب وهو يقول :

ـ من ٠٠ آه ٠٠ يا أخى اعقل ٠٠ انه قادم يظن اننا لنا يد فى قتل أبو سريع ٠٠ اسكت انت ولا تتكلم ٠

ـ لا اطيق ٠٠

ـ اسكت انت وأنا ساريحك ٠

ـ السلام عليكم ٠٠

وقال عبد التواب وهو يعمل فاسه فى الأرض وكأنه لا يراه:

ـ من غير سلام ابلغ سيدك اننا عندما قتل أبو سريع كنا فى فرح هنداوى الجلطـة أنا وأخى واعطينـا النقوط على ملأ الناس وألف شاهد يشهد على ذلك ٠٠ مع السلامة يا مرسى ٠٠

ـ ياسلام اهكذا من غير أخذ و لارد ؟

ـ وما لزوم الأخذ والرد وقـد عرفت ما كنت جائيـا من اجله ٠٠ مع السلامة يا مرسى ٠٠

ـ طيب ياسيدى وهو كذلك ٠٠

★ ★ ★

أدرك سباعى أن لا فائدة ترجى من بحثه وانتهى به الأمر الى اليأس التام من العثور على القاتل · ولم يبق له الا ان يكون هو على أهبة تامة حذر الموت ·· وتولاه شعور بالرعب لم يعرفه حياته كلها ·· ان لحظة خوف واحدة يصغر أمامها مال العالم كله وسلطان الدنيا بأسرها ·· وخالق النفوس سبحانه هدد البشر بشيء من الخوف رحمة بعباده أن يبلوهم بالخوف كله فان شيئا منه أدهى من الموت ومن الفقر وكل عذابات الدنيا ·· ترى أيكون سباعى بهذا الرعب الذى يتغشاه قد كفر عن جرائمه ·· من يدرى ·· فالله وحده هو الذى يملك الغفران وهو وحده الذى يعرف متى يستحق عبده المغفرة يمنحها له أو لا يستحقها فيحجبها عنه ·

فكر سباعى أن يقيم أغلب وقته فى القاهرة ولكن ارتد عن هذا ·· فالقاهرة واسعة وقد يقتل هناك فى أى لحظة ·· ثم هو لا يستطيع أن يسير فى القاهرة وحوله هؤلاء الحراس الذين يصطنعهم هنا فى البلدة ·· كل ما استطاع أن يفعله أن يضع على بابه أضعافا مضاعفة من المراتيج وأن يزيد من عدد الخفراء ·· وكان يظل طول ليله لا يغمض له جفن وتظل آلة الاضاءة تعمل لا تنى ولا تنطفيء بل لقد اشترى آلة أخرى لتضيء اذا أصاب العطب الآلة التى تعمل · ولا ينى طول الليل ينادى أسماء الخفراء الواحد بعد الآخر ليكون على ثقة انهم أيقاظ فلا ينام الا حين يأتى الصباح ·



— ١٦ —

السنوات الخضر من الشباب حين يكون للحب جناحان يحلق بهما الانسان في سماوات سامقات عن الدنا ، قصيات عن الأرض ، رفيعات عن الدنية • هناك يحس الشباب ان الهوى لم يخلق الا له وان الله سبحانه وتعالى يرسل به الى الارض نفحات من الجنة تعين الانسان على مرور الحيـاة وعلى تكالب البشر وعلى اشتباك المصالح وعلى الكذب وعلى الغش وعلى خـداع الصديق وعلى حضيض الناس وانحيازهم الى خلق الحيـوان وتنكرهم للانسانية التى جعلهم الله بها سادة الخلق أجمعين •

بالحب يستطيع الانسان ان يكون سيد المخلوقات •• بهذه الخفقات المجنحة العربيدة الآمنة •• السعيدة القلقة •• الباسمة القطبة •• الآملة اليائسة •• الراغبة العازفة •• المقـدمة عن رعونة المحجمة عن حذر •

بالبحث عن الكلمات فاذا هى فى تيه عن المشاعر اغلقت عليهـا المسالك لا تدرى اين سبيلهـا الى الشفة التعبير عن حب

صاحبها • بالمثمة واللسان فصيح ولكنه ينوء بما لا يطيق من احمال الحب • فاذا به ــ وهو المنطلق القؤول ــ مقيد مكبول واذا النجوى صمت واذا الحديث نظرة واذا الحياة نشوة يطمسها الحديث المعلن ويشمشمها الفم المسموت •

عرفه صلاح وعرفته عديلة • بلمسة يد بابتسامة عند لقاء في الصباح أو لقاء في المساء •• بكلمات يهمس على شفاه صلاح ويقف بهن جلال على وجه عديلة •

انه الحب البكر لقلبين مخلوقين من نقاء الماس دون صلابته ومن طهارة الملائكة ممتزجة بخلجات الانسان وشفافية البلور وقد سرى فيه نبض البشر ومن نور الأمل في المستقبل طليقا من قيود الزمن •• احس كل منهما عند صاحبه ما كانا به في غناء عن التصريح •• وكان الحديث يجرى بينهما رخاء وفي غير الحب كان الحديث •• لقد اتفق كل منهما مع الآخر دون قول منهما أن أي حديث هو أصغر من الحب يكنه كل منهما لحبيبه والمكان الذي يعرفه كل منهما لنفسه عند هواه •

سالته يوما :

ــ هل انت اخوان ام شيوعي ؟

ــ أنا مصري ••

ــ اذن فانت من الأغلبية ••

ــ وانت ؟••

ــ ماذا تظن ؟••

ـ مصرية ·· لحما ودما وقلبا وروحا وجسما ومشاعر وأخلاق وآراء ··

ـ أما أن يكون المصرى كذلك أو لا يكون ·

ـ ولكن ألم تفكر أن تنضم الى هؤلاء أو أولئك لتعرف ما يفكر فيه كل من الجانبين ؟

ـ صادقت من هؤلاء ومن هؤلاء وحاول كل من الجانبين أن يضمنى اليه ورفضت ··

ـ لماذا ؟··

ـ لا أريد أن أحكم العالم ولا أريد حتى أن أحكم مصر بل ولا أريد أن أحكم أحدا على الاطلاق ··

ـ فماذا تريد أن تكون ؟

ـ انسانا ··

ـ ألست كذلك ؟··

ـ ليس بعد ·

ـ فما الانسان عندك ؟··

ـ أن أحب كل الناس حتى المخطئين ·· ولا أحقد ·· وأن أعطى اذا ملكت العطاء ولا أنتظر على العطاء شكرا لأن العطاء نفسه يمنح المعطاء سعادة لا يبثها فى القلب كل شكر العالمين ·

أريد أن أرى جمال الحياة وأحاول بكل جهدى أن أهون اليؤس فيها على اليائسين .. أريد أن يظل ايمانى بالله وبالخلق وبالصدق وبالقيم ثابتا لا تزعزعه الأهوال التى أعلم أن الحياة ستواجهنى بها .. أريد أخيرا أن أكون وأنا فى طريقى الى الله سعيدا أننى سألقاه .. وأنت..

لم يسمع جوابا ورأى الدموع تجرى مدرارا على وجنتيها وكانت توقفت عن المسير فتوقف وهو يتحدث دون أن يسألها عما دعاها للوقوف .. أسعده بكاؤها ومد يده ومسح دموعها فى هوادة محب مشفق ، وفى ضغط شاب فتى وابتسم وقال :

ــ لقد أجابت دموعك عنك أنت تريدين أن تكونى مثلى .



— ١٧ —

كان صلاح يؤدى امتحان النقل من السنة الثانية فى كلية الحقوق الى السنة الثالثة حين ضرب جرس التليفون فى بيتهم وقال خليل :

ـ صلاح انت تذاكر هذه الأيام ؟..

ـ نعم ..

ـ اذن اسمع .. آخر يوم امتحان تعال فأنا أريدك فى شىء مهم جداً .

ـ خير يا عمى ..

ـ وهل تظن ان عمك يقدم لك الا خيرا ؟..

ـ ولكن سعادتك شغلتنى ..

ـ وهل تظن انه لو كان هناك ما يشغل كنت طلبتك وانت تمتحن .. حتى آخر امتحان عندكم ؟

ـ غـدا ..

ـ اذن تعال غدا .. واطمئن ستفرح جدا .. اظن ذلك على الاقل ..

وحين ذهب صلاح الى عمه فى اليوم التالى كانت اللهفـة تحيط به وكان عمه مشغولا بالكشف على مريض فازداد به القلق حتى اذا خرج المريض دخل دون استئذان وقال دون سلام :

ـ ماذا هناك يا عمى ؟..

ـ العـد ..

ـ ماذا هناك والنبى ؟..

ـ اسمع ياسيدى .. لقد خطبت لك ..

ـ ماذا ... من ؟..

ـ هل اعرفها ؟..

ـ وهل من الضرورى ان تعرفها ؟

ـ اسمع يا عمى .. انا خاطب فعـلا وانا اعرف حبك لى ولذلك ارجو ان تكون خطبتك مجـرد جس نبض . انا خاطب فعلا ..

ـ من ؟..

ـ فتاة زميلتى ..

ـ اسمها عديلة ؟..

ـ ماذا ؟!..

ـ وابنة عبد الغنى بك الزاهد ؟

ـ كيف عرفت يا عمى ؟..

ـ الله يكسفك .. أعرف منهم ولا أعرف منك ..

ـ ماذا تقول ؟ ..

ـ لقد جاءت الى هنا وقالت ان كثيرا من الخطاب تقدموا لها ورفضتهم ولكن تقدم اليها أخيرا شاب مهندس لا عيب فيه وأبوها يريد ان يزوجها منه على رغم انفها وطلبت الى أن ارجو اباها الا يرغمها ..

ـ وماذا فعلت يا عمى ؟..

ـ سألتها عن سبب الرفض فأصرت أن تصمت ولكنها أخيرا قالت انها لا تريد أن تخرج عن طاعة أبيها ولكنها لن تتزوج هذا المهندس .

ـ وبعد يا عمى وبعد ..

ـ طلبت اليها أن تنتظر فى غرفة الاستقبال وطلبت اباها فى التليفون .. فاذا الرجل ينفجر .. الم تفكر يا دكتور لماذا اختارتك انت بالذات ؟.. قلت أعتقد انها اختارتنى لأنها تعرف مكانتى عندك .. قال ياسيدى مكانتك على العين والرأس ولا شك

فيها ولكن لها أعمام ولها أخوال وكان من الطبيعي أن تلجأ لواحد منهم ، وتنبهت الى هذه الحقيقة متأخرا يبدو اننا عائلة غبية يا ولد يا صلاح ، سألت عبد الغني ماذا اذن .. قال ابن أخيك يا سيدي .. ماله ؟! . قال متحابان وهي لا تريد الزواج من أجل خاطره .. ربك والحق يا ولد يا صلاح فرحت بك قلت وانت ما المانع عندك .. قال المانع بسيط جدا أنه لم يتقدم اليها وهؤلاء العرسان تقدموا وكلهم شبان ممتازون وأحسنهم هذا الشاب الأخير .. ما رأيك .. قلت له اذن يا عبد الغني فأنا أخطب ابنتك عديلة لابن أخي صلاح .. قال الا تسأله .. قلت انى أعرف الجواب .. قال اذن وأنا قبلت .. قل للبنت انها لن تتزوج الزفت المهندس ولا تقل لها شيئا عن الخطبة حتى تتم رسميا قلت حاضر ..

وقفز صلاح عن كرسيه وراح يقبل عمه ويحتضنه ويصيح .. الله يطيل عمرك .. الله يخليك .. وقال خليل :

ـ والآن قل لى ماذا فعلت فى الامتحان ؟..

ـ قل لى انت أولا كيف عرفت أننى سأقبل هذه الخطبة ..

ـ عجيبة .. الا تعرف أن لى أصدقاء كثيرين بين أساتذتك؟

ـ وكيف عرفوا ؟..

ـ لماذا يعتقد الشباب منكم أن الشباب لم يعرف الا جيله وحده .. كانوا هم أيضا شبابا وكانوا فى الجامعة ولا تفوتهم الفائتة ..

ــ للعجيبة انني مع عديلة كل يوم ولم تقل شيئا عن هــذه الحكاية مطلقا ••

ــ اولا ماذا تريدها أن تقول لك •• تعال اخطبنى •• ثانيا هى لا تعرف انني خطبتها من ابيها ••

ــ والبنت التى ترفض أن تذكر لىّ شيئا عن خطابها إليست جديرة بالحب ••

ــ فعلا هى جديرة بالحب وبالاعجاب ولو اننا تمن احببناها اولا والآن نفكر فى حيثيات الحب أليس كذلك يا نصف المتر •

ــ وهل تظن أن أبى سيقبل أن يخطب لى وأنا نصف متر ؟

ــ غصبا عنه ••

ــ كيف ؟ ••

ــ ان كان عليه هو يريد أن يزوجك من يوم دخولك الجامعة وأنا الذى كنت أستمهله ••

ــ هل كلمته ؟ ••

ــ وسيكون هنا غداً •• اذهب أنت الآن الى والدتك واخبرها بكل شيء حتى لا تفاجأ ••

وجاء سباعى وطلب الى أخيه خليل أن يشترى له الشبكة المناسبة وما هى الا أيام حتى تمت الخطوبة وأعلنت واتفق الجميع على أن يكون الزواج بعد الليسانس مباشرة •• وكانت أم عديلة متوفاة ولهذا لم يكن عجيبا أن يهمس عبد الغنى فى أذن صلاح :

ـ تعال يا ابنى اريدك فى كلمتين ..

قام صلاح مع والد خطيبته وذهب به الى غرفة نومه :

ـ أعرف ان الكلام فى هـذا سنسابق لأوانه الا اننى يابنى لا احب القلق ..

ـ تحت أمرك يا عمى ..

ـ انت ترى انه ليس لى فى الدنيا الا عديلة .. امها تركتها لى من خمس سنوات وانا كبرت ولا استطيع ان اعيش وحيدا . ايكون هناك اثقال عليك لو عشت معى فى هذا البيت ؟

ـ انا تحت أمرك ولكن لى رجاء واحد عندك ..

ـ قله ....

ـ ان اساهم فى مصاريف البيت .

ـ فى بيتى ؟

ـ وهل ترضى لى أن أعيش عالة عليك ؟

ـ انا قبلت ..

ـ وانا قبلت ..

ـ على بركة الله .. اذن ربنا يهنيكم يا ابنى ان شاء الله .

★ ★ ★

— ١٨ —

كان صلاح قد انتهى من امتحان الليسانس ولكنه بقى فى القاهرة فى انتظار النتيجة ولم يسافر الى الاسكندرية ·· وكان يتهيأ للنزول ليذهب الى عديلة شأنه فى كل يوم حين دق جرس الباب واذا القادم عمه خليل ·· وفوجىء صلاح بعمه يحتضنه على الباب ويصيح :

ـ جيد جدا ·· الف مبروك ··

وذهل صلاح :

ـ احقـا ؟··

ـ كلمنى الآن الدكتور عبد الوهاب رفاعى ·

ـ استاذ الجنائى ··

ـ ورئيس الكنترول ··

ـ وعديلة ؟ ٠٠

ـ جيد ٠٠

ـ يعنى نجحت ٠٠

وقبل ان يكملا الحوار انفجرت زغرودة من حيث لم يحتسبا ومن حيث لم يتصورا ايضا ٠ لقد كانت قدرية بمسمع منهما ٠٠ والتفتا اليها فى فرح فاذا هى تطلق زغرودة اخرى وترتمى على الكرسى ٠ ويجرى اليها ابنها وعمه وتقول لاهثة :

ـ نذر على وانا اوفيه ٠٠ ما فعلتها فى حياتى ولكنى كنت اتمرن عليها كل ليلة منذ دخلت الحضانة ٠٠ انا يابنى لا احب الحياة الا من اجلك ٠٠ انت حياة حياتى ٠٠

وراح صلاح يقبل يدها ووجهها ويشرب صادق دموعها المنهمرة ٠٠ وهى تقول وكأنها تكلم نفسها :

ـ لقد جئت مصر من اجلك وانا لا اعتبر ان لى زوجا منذ رزقنى الله بك ٠٠ لم افكر فى شىء لنفسى طول حياتك لا فكرت فى فسحة ولا فى فستان ولا فى شىء حتى ارضى حين اخذوها منى قلت فى ستين داهية مادمت انت فالحا فى مدرستك ٠٠ ولولا الضاحك ما ذهبت عمرى الى السينما ٠ التليفزيون لا ينفتح مادمت انت تذاكر ٠ عمرى كله كان ينتظر هذه اللحظة فلا تعجبوا ٠٠ انها لحظة عمرى ، منذ اليوم انا لا اريد شيئا ٠ انا ابنى معاه الليسانس وكل شىء بعد ذلك لا يساوى شيئا ٠ حتى فى يوم فرحه لن ازغرد ٠ فرحانة نعم ساكون ٠ ولكنى لن ازغرد ٠ هى

مرة • ولن تعود • ابنى معاه الليسانس • شربات يا أم السعد شربات يا هنية • شربات للعمارة كلها •

ان حب الأم لابنها امر ليس غريبا على صلاح ولا هو بغريب على خليل ولكن الذى دهشا له ان قدرية الصموت المتسلطة دائما الجادة تزخر بكل هذه المشاعر ولا تبين عنها الا الآن • تركيبة عجيبة هذا الانسان •• حتى اقرب الناس اليه لا يعرف الأعماق الحقيقية التى ينطوى عليها كيانه •

قال خليل :

ـ انت وعديلة عندى على العشاء الليلة • وكلم اباك •

وقبل ان ينزل خليل قال له صلاح :

ـ نجىء لك فى العيادة أم فى البيت ؟

ـ على البيت مباشرة واذا تأخرت انتظرانى •

ـ وهو كذلك ••

وسارع صلاح الى عديلة وبشرها بمشهد من أبيها ومن هناك طلب اباه فأخبره فاذا بصوت أبيه يأتيه فى التليفون :

ـ اسمع يا أستاذ •• بعد غد انت وعروسك واليك والدها وعمك وزوجته وعمتك عابدة وزوجها وعمتك فاطمة وزوجها كلكم مدعوون مع أولاد الجميع على احتفال عندنا هنا فى البلد بمناسبة تخرجك •• سامعنى ••

ـ خذ سعادتك كلم عمى عبد المغنى ٠٠

قبل الرجل الدعوة ونزل صلاح مع عديلة ولم ينتظرا أن يركبا السيارة وانما قبلها على السلم واذا هى تضربه على خده ضربة أقرب الى التربيت وهى تقول :

ـ يخرب عقلك ٠٠

ـ ماذا ؟ اذا كنت جيد فأنا جدا ٠

ـ وما شأن الناس بهذا ؟

ـ انهم يحبون أن يروا خطيبا يبوس خطيبته ٠٠

ـ ولكنهم مع ذلك يدعون الغضب ٠

ـ وأنت ما الذى يهمك الحقيقة أم الادعاء ؟

ـ يبدو أنك ستكون أنت فى الادعاء فالغالب انك ستدخل النيابة ٠

ـ أو اكون استاذا فى الكلية ٠

ـ ماذا تريد أنت ؟

ـ لم أحدد بعد ربما رفضت هذا وذاك وفكرت فى المحاماة٠

كانا قد ركبا السيارة وسارت بهما وقالت عديلة :

ـ الى أين ؟٠٠

ـ الى صاحب الفضل الأول على ٠٠

ـ الأستاذ ياسين ؟٠٠

ـ كان يجب أن يعرف قبل ابى ٠٠

★ ★ ★

— ١٩ —

كان سباعى حريصا دائما أن يحضر كل بقرة أو جاموسة عنده تلد • وتلك خصلة صحبته وصحبها منذ كان طفلا فى رعاية أبيه • وقد ظلت فرحته بولادة البهيمة التى كان يحسها وهو ذلك الطفل كما هى لم تتغير ، وان كان فى طفولته يساعد الكلاف الا أنه كف عن ذلك منذ شب عن الطوق وأصبح يشرف على زراعة أبيه ، وهو اليوم يضع كرسيا ويجلس قريبا من الذين يقومون بتوليد البقرة أو الجاموسة حتى تتم الولادة فينصرف الى البيت • وكان فى جلسته هذه ينسى كل مشاغله التى أصبحت حين كبر مخاوف ولا يفكر الا فى مولد العجل أو العجلة ان كانت الوالدة بقرة والفحل أو الفحلة ان كانت الوالدة جاموسة • وكانت البلدة كلها تعرف عنه هذه العادة • فعادات كل أبناء القرية معروفة لبعضهم البعض ، فالقرية مهما تتسع انما هى بيت كبير كل انسان يعرف كل شىء عن كل انسان فيها فما الشأن اذا كانت تلك هى عادة أغنى أبناء القرية وكبير طغاة المنطقة •

وقدر الذين يحسون البهائم وهم أطباء الولادة بالقرية أن الجاموسة المفضلة عند سباعى ستلد فى نفس اليوم الذى حدده للاحتفال بحصول ابنه على الليسانس •

وفكر سباعى قليلا ثم قال لمحدثه الذى سيقوم بتوليد الجاموسة :

ـ اذن فاسمع ·· عليك أنت أن تظل الى جانبها لا تنتقل وحين تحس أن الموعد اقترب ارسل لى أجىء اليك · وسيكون المدعوون كثيرين ولن يلتفت أحد لغيابى ·

وحل يوم الاحتفال ولم تكن الجاموسة قد ولدت بعد وتقاطر المدعوون وكان سباعى لم يترك احدا الا دعاه وفى المقدمة المحافظ ومدير الامن والمأمور وأعضاء مجلس الأمة والعمد والأعيان · لقد أراد أن يعلن للجميع أن سباعى الذى لم ينل شهادة استطاع ابنه أن يحصل على الليسانس وبدرجة جيد جدا · الوحيد الذى كان يجب أن يكون موجودا ولم يدع هو شعبان عما كان الى دعوته من سبيل فقد كان قد سافر الى صهره الأمير مع زوجته وأولاده وأقام هناك اقامة غير عائد ·

وجاء المحتفل به ليرى القرية التى لم يكن رآها منذ كان صبيا يافعا سعى الى القرية فرحا ليشهد الانتخابات وانصرف عنها مصطحبا الحيرة والقلق مما رأى فى أعين الرجال وهم يحتفلون بأبيه ·

جلس صلاح بين القوم وراح ينظر ·· لم تكن عديلة معه فقد ذهبت هى وأمه وعماته الى مكان الحريم ، فالريف لم يعترف بعد باختلاط الجنسين · رأى فى عيون القوم المدعوين وفى جباههم تعبيرا آخر غير الذى شهده من الناخبين · هؤلاء لا يخافون أباه ولكنهم أيضا خائفون · كلهم مرتعد فى داخله تتضح الرعدة فى حديثه ·· فالحوار يبدأ ولكنه ينقطع من تلقاء نفسه اذا أدى الى موضوع عام · وكل حوار بين الرجال لابد أن يؤدى الى موضوع عام ·· ولكل منهم رأى وربما كانوا متفقين جميعا على رأى ولكن هيهات لرأيهم أن يعلن أو يخرج من منطقة الهمس الداخلى الى منطقة الحديث ·· أشدهم رعبا المحافظ ويليه مدير الأمن ويليه المأمور · ويعجب صلاح كيف يحافظ على الأمن من لا أمن له ·

كيف يكون مسـئولا عن أمن النـاس وهو نفسه غير آمن على نفسه · ويل للناس اذا خاف الناس · وويل للناس كل الويل اذا كانت نفوسهم تخاف من نفوسهم ·

أما اعضاء مجلس الامـة فهم يتلهون بكل حـديث فارغ ويختارون طريق الحديث حتى لا يصل بهم الى ما يرهبـون · وقد وجد بعضهم فى الاجتماع فرصة ذهبية يقترب بها الى العمد والأعيان فكل نائب فيهم ليس يدرى الانتخابات القادمة متى تكون ·

حابل ونابل كما يقـول العرب وقسوم يجتمعون وينفضون يقولون الكثير من الكلام ولا يقولون شيئا · وصلاح ذاهل واع مندهش مفكر ·· لا يفوته شيء مما حوله ·· وتزيد قوة الملاحظة المًا ورفضا · وخلا باستاذه ياسين :

ــ اهؤلاء ناس ·

ــ مجتمعك ·

ــ أكانوا كذلك دائما ·

ــ المجتمعات التى عرفتها حين كنت فى مثل سنك لم تكن متعرضة لما يتعرض له هؤلاء ·

ــ أليس فيهم رجل ·

ــ كلهم فى داخلهم رجال ولكن الارهاب يطمس الرجولة فالتمس لهم العذر ولا تعنف بهم فى حكمك ·

ــ ماذا تقول أنفسهم ·

ــ ان كان لك عند الكلب حاجة قل له يا سيدى

ـ وماذا لهم عند الكلب ·

ـ الحياة ·

ـ الموت خير منها ·

ـ ناس من يقول هذا أو يشعر به ·

ـ تهون الحياة مع الذل ·

ـ ومع ذلك فهم يرون انفسهم على كرامة

ـ من اين يأتيهم هذا الشعور ·

ـ كل منهم لبعض الناس عندهم حاجات ·

ـ فكلهم كلاب ·

ـ ويجدون من يقول لهم يا سيدى ·

وانقطع الحوار وحوم الصمت الذاهل فقد انطلقت فى اسماع الحاضرين ثلاث رصاصات ·· ارصاص والمحافظ والمدير والمأمور ورجال الامن جميعا هنا · ما هذا ·· ما هذا ·· ما هذا ·

وجاء الجواب ·· قتل سباعى ·· من القاتل ؟ ·· سلم نفسه · من هو ؟ ·· حسن عبد الحميد أبو ديدة ·· من حسن عبد الحميد أبو ديدة ؟ !

★★★

— ٢٠ —

كان كل ما عنى به المأمور ان يحافظ على حياة القاتل وقد تمكن من ذلك وصحبه الى المديرية · وانقلب الاحتفـال مأتما وتحقق بيت شوقى :

واذا نظـرت الى الحيـاة وجدتهـا
عرسـا اقيم عـلى جـوانب مـأتم

وكان اول ما صنعه صلاح بعد أن انفض معظم الناس أن يعجل بسفر خطيبته وابيها · وحين حاولت عـديلة البقـاء معه اصر على سفرها فى حسم لم تشهده منه قبل اليوم فاضطرت الى السفر ·

اقيم المأتم فى اليوم التالى · ولكن صلاح لم يكن يطيق انتظارا لقد رأى داخل الناس وكأنهم يقولون : غمة وانزاحت ·

انتحى جانبا بياسين :

ـ اتعرف شيئا ·

ـ اعرف كل شيء ولا اعرف شيئا ·

ـ اتذكر حديثنا فى فناء المدرسة ·

ـ وكيف استطيع ان انساه ·

ـ الا تعرف على الأقل من استطيع ان اسأله ·

ـ نعم اعرف ·

ـ من ·

ـ اكبراهل البلدة سنا ·· عمك سليمان النواوى كان صديق جدك الصدوق ولن يكذبك ·

★ ★ ★

روى سليمان النواوى كل شىء · لم يخف عنه خافية وحين اتم حديثه قال صلاح :

ـ هل معك العقد الذى فرضه عليك ابى ·

ونادى سليمان ابنه وامره ان يأتى بحقيبة اوراقه ·· واخرج سليمان العقد دون جهد وقدمه الى صلاح · ·قرأه ·· ثم التفت الى الأبن وطلب منه ورقة بيضاء وصدع الابن بالطلب وقال سليمان :

ـ ماذا ستصنع ·

ـ اكون انا ·

ولم يزد · وجاءت الورقة وراح صلاح يكتب ونقل بعض اشياء من العقد القديم ووقع الورقة ·· واعطاها لسليمان وقام وهو يقول :

ـ سلام عليكم ·

ـ انتظر ·· العقد ·· ما هذا ·

ـ لقد انتهت مهمتى ·

ـ اذن فانتظر ربما كانت لى مهمة انا الاخر ٠

ـ امرك ٠٠ انتظر ٠

وقرا سليمان الورقة ووجدها عقد بيع من صلاح بالأفدنة الستة خالصة الثمن وفهم أنه كان ينقل الحدود من العقد الاول وجرت دمعتان على خدي سليمان وهو يقول :

ـ عجيبة ٠

وقال صلاح : ما العجيبة ؟

ـ بل عجائب ٠

ـ ماهى العجائب ٠

ـ العجيبة الاولى ان عينى مازال فيها دموع ولم تحجرها السنون والثانية ان تكون أنت ابن سباعى وامك من اشرف الناس ولا شك انك ابنه فتلك عجيبة اما العجيبة الثالثة ان عزرائيل تاخر عنى طول هذه المدة وانا لا ادرى السبب ٠ واليوم دريته ٠

ـ والآن اتسمح لى ٠

ـ بل انتظر ٠

ـ ماذا ؟

ـ الفلوس التى ارسلها الى أبوك ٠٠ لم امسها ٠٠ كما هى وهى هنا فى هذه الحقيبة ٠

ـ لا تلزمنى ٠

ـ امثلى يقبل الصدقة ٠

ـ استغفر الله وانما الذى قدرته قلته انت الآن ٠٠ لو كان أبى صنع هذا معك وانت تاجر فربما كنت تاجرت بالمال وكسبت منه اما وقد فعل ما فعل بعد أن توقفت أنت عن التجارة فهذا معناه ان المال بقى عندك ولم يصنع شيئا ولا شك ان نفسك عزفت حتى

ان تشترى أرضا أخرى .. فالربح الذى أخذه أبى من الأرض حقك فليكن ما أرسله لك من المال مقابل هذا الربح .

ـ منطق قد يقبله غيرى .. فقد كنت استطيع ان اشترى أرضا أخرى وكنت استطيع أن أجعل زميلا لى فى التجــارة أو واحدا ممن علمتهم التجارة يتاجر لى . فابقاء المال بلا عمل خطأ اخترته انا ولم يفرضه على ابوك . والأرض اليوم ثمنها أضعاف أضعاف ثمنها يوم اغتصبها منى أبوك ودفع فيها نصف الثمن . فاذا كنت تريدنى أن اقبل الأرض فاقبل أنت على الأقل ما دفعه لى ابوك قسرا . انه أرغمنى على البيع بثمن بخس فاذل كرامتى فلا ترغمنى أنت على الشراء بلا ثمن وتزيد كرامتى ذلا .

ـ لا والله فما الى هذا قصدت .

ـ اذا أردت أن تريح ضميرك فارح ضمير الناس واطال الله عمرك وثبتك على ما أخذت به نفسك وأعانك عليه فان من كان فى مثل عدلك سيلقى الكثير من المتاعب . خذ الفلوس .

ـ أمرك .. سلام عليكم .

ـ مع الف سلامة !

★★★

ذهب صلاح الى بيت شاكر وكان ما صنعه صلاح مع سليمان النواوى قد ذاع فى القرية كلها فرحب به شاكر فقد أحس أن القادم اليه انسان .. قال صلاح :

ـ اين أخوك عبد التواب .

ـ فى بيته .

ـ ارسل اليه من يستدعيه .

وجاء عبد التواب وبدأ صلاح :

ـ حياة الانسان لا يساويها شيء في العالم • ولكن الله وحده هو القادر على أن يبعث الحياة ولا يد لي في هذا • وكل كلام للعزاء في أبيكما لا يجدي فلا عوض عن الأب ولكنني انا اريد ان أعيش وبيدك انت واخوك هذا ان تسمحا لي بان أحس انني فعلت ما يجب على أن افعله في اضعف صورة فاستطيع أن أعيش •

وقال عبد التواب :

ـ ما المطلوب منا يا أستاذ •

ـ لا شيء الا ان تقبلا هذا العقد •

ـ وماذا فيه •

ـ بيع باسمك واسم اخوتك مني للافدنة الخمسة التي كان يزرعها ابوكم •

وبهت الأخوان وقال شاكر :

ـ والثمن ؟•

ـ العقد خالص والثمن وصل •

وقال عبد التواب :

ـ لا يرد الكرامة الا لئيم •• كان غيرك يستطيع ان يقول ما شاني بما فعله ابي ويبقى الأرض •

ـ ولكني انا لا استطيع •

ـ انن فانت جدير بالشكر •

ـ بل الشكر لكما أن قبلتما •• السلام عليكم •

ـ السلام ورحمة الله وبركاته •

★ ★ ★

تردد كثيرا ثم جمع اطراف شجاعته وذهب الى عبد الحميد ابن حسن قاتل أبيه . وجزع الشاب وهو يراه واقفا على رأسه فى الدكان وانتفض واقفا وبيده المقص وهو يقول :

ـ ماذا تريد ؟

ـ رد السلام اولا .

ـ ومن أين يأتى السلام .

ـ يا أخى ابوك قاتل ابى وأنا الذى جئت اليك .

ـ من اجل هذا اعجب ماذا تريد .

ـ كل خير ان شاء الله .

ـ لم نر الخير منكم مطلقا .

ـ صدقت ولكن من يدرى ماذا فى داخل الأيام القادمة .. رد السلام .

ـ وعليكم السلام .

ـ اقعد .

ـ نقعد .

ـ خذ هذا .

ـ ما هذا .

ـ أنا أعرف أنك تعلمت القراءة والكتابة .

وقرأ عبد الحميد :

ـ أهذا معقول .

ـ نعم .

ـ ليس معى ثمنها .

ـ الم تقرا العقد ٠

ـ نعم ٠٠

ـ ماذا فيه من الثمن ٠

ـ انه خالص ٠

ـ وهو خالص ٠

ـ هذا كثير ٠٠ هذا كثير ان ابى قتل اباك من اجل هـذه الافدنة الثلاثة

ـ والان وقد مات ابى فلنترك الأيام تصنع ما عندها ٠٠ ويؤدى كل منا واجبه ٠

وانفجر عبد الحميد عن بكـاء عالى النحيب وراح صلاح يربت كتفه ٠٠ وقال عبد الحميد :

ـ انا الذى جعلته يصنع ما صنع ٠

ـ انت ؟

ـ كنت دائما اعيره انه قبل الذل ٠٠ وكان يقول اننى اقتله كلما قلت له هـذا ٠٠ قال لى عنـدما زرته فى السجن : ثلاث رصاصات عن كل فدان رصاصة ٠٠ قل لاولادك جـدكم لم يكن ذليلا ٠

ـ هل وكلت عنه محاميا ٠

ـ لا ٠

ـ وهل معك اجر المحامى ؟

ـ سادبره ٠

ـ خذ هذا المبلغ وتسمع نصيحتى فى اختيار المحامى ام تظن اننى اغشك ٠

ـ اتقدم لى كل هذا وتفتشنى ٠

ـ اذن فاذهب الى القاهرة ووكل الدكتور عبد الوهاب رفاعى استاذ القانون الجنائى فى كلية الحقوق ٠٠ وهذا عنوان مكتبه ٠٠ سلام عليكم ٠

ـ نعم ٠٠ ألآن السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

وبقى صلاح فى البلدة يعيد الى كل من اغتصب منه أبوه ارضا أرضه أو يعيدها لأولاده ، منهم من يرد الثمن ومنهم من لا يرد حتى اذا أطمأن أن لم تبق ارض لم تعد لصاحبها أو لورثته سافر الى القاهرة ٠

وهناك ذهب الى عمه الدكتور خليل ٠

ـ أهكذا تكون النهاية موت فى حظيرة بهائم ٠٠ فى أقذر مكان فى القرية بل ربما فى العالم ٠

ـ انه مجرد جسد ارتمى فى القذارة وعند الموت تستوى الامكنة ٠

ـ وربما كانت روحه قد صعدت وهى تحمل من القذارة اكثر مما ارتمى عليه جسده ٠

ـ هذا ليس شأنك ٠

ـ انا ابنه ٠

ـ ولكنه أصبح الى من لا ينفع عنده مال ولا بنون ٠

واكمل صلاح :

ـ الا من أتى الله بقلب سليم ٠٠ أو كان قلبه سليما ٠٠

ـ ومن هذا الذى يستطيع أن يطلع على القلوب ٠

ـ الذى لا ينفع عنده مال ولا بنون ٠

ـ فهذا شأنه اتركه له ٠

ـ ياليتنى أستطيع ٠

ـ انت قمت بواجبك بعد وفاته ٠

ـ ليس بعد ٠

ـ ماذا بقى عليك ٠

ـ هناك انسان سيقتل ٠

ـ انه قاتل ٠٠ هذا حق المجتمع ٠

ـ وحقى ٠٠ الست ولى الدم ٠

ـ وماذا تريد أن تفعل ٠

ـ رفعت الدعوى المدنية ٠

ـ اتريد عوضا عن أبيك ٠

ـ أريد الحق أن يأخذ مجراه ٠

ـ لا افهم شيئا ٠

ـ لكل شىء وقته ٠

ـ بلغنى ما فعلته فى البلد ٠

ـ لم يبق أحد لم أرد حقه الا سعادتك ٠

ـ أنا ليس لى حق ٠

ـ ستعرف الآن ٠

ـ كم بقى لك من ارض ٠

ـ اربعون فدانا ٠

ـ لا بأس ٠

ـ ستصبح الآن عشرين تقريبا ٠

ـ لمـاذا ؟

ـ ارضك وارض جدتي

ـ ارضي انا ٠

ـ نعم ٠

ـ مالها ٠

ـ لا بد ان اردها اليك ٠

ـ لماذا وهل بعتها قسرا انا الآخر ٠

ـ لو لم يكن أبى على ما كان عليه ما بعت ارضك ٠

ـ أكذب لو قلت لك أن هذا كان تفكيري ٠

ـ بل تريد أن تبقى فى ملكى ارضا ليست من حقى ٠

ـ كان أبوك لا يتأخر عن دفع الايجار وكنت أستطيع أن ابقى الأرض تحت اشرافه لو اردت ذلك ولكنني بعت الارض بمحض اختيارى والثمن كان مناسبا لهذه الفترة ٠

ـ عمى أنت تعرف العبء الذى احس به على ضميرى ٠

ـ وواجبى أن اخففه عنك ولكن أتريد أنت تخفف من عبئك لأحمل أنا عبئا اشد ٠ اغشك ٠٠ اغش ابنى ٠٠ اى ضمير يقبل هذا ٠

ـ هل أنت واثق ٠

ـ كل الثقة ٠

ـ فأرض ستى اذن ٠

ـ هى الأخرى باعتها مختارة ٠

ـ لقد رأيت ستى وهى تعيش معك · كانت الحسرة تملأ نفسها الى يوم وفاتها لانها تركت البلد وبيتها ·· لا ·· لولا أبى وما فعله ما تركت ستى البلد ابدا ·

ـ وأفرض ·· ولكنها باعت الأرض باختيارها ·

ـ أهذا اختيار ·· انه الارغام ذاته ·· على كل حال أنا قررت أن أتنازل عن أرض ستى لعمتى عابدة وعمتى فاطمة ·

ـ وأنا قبلت عنهما هذا وقبلت هذا لك ، فان من واجبك أن تكرم عماتك ، وفعلا كلتاهما تحتاج الى ما يعينها على الحياة ، وأنا أعمل ما فى طاقتى وأحب لك أن تكون بجانبى فى رعايتهما ·

ـ أذن ·

ـ عندى توكيل منهما ·

ـ وهذا عقد بيع خالص الثمن لهما وقعه أو لا توقعه فهو على كل حال من صورة واحدة وكلف سعادتك واحدا من وكلاء المحامين ليبدأ فى اجراءات التسجيل ·

ـ لا أحب أن أمدحك ولكن لابد أن اقول لك انى فخور بك ·

ـ أرجو أن أشعر بنصف هذا الشعور نحو نفسى ·

ـ والآن ماذا ستعمل في الزواج ·

ـ تأجل طبعا ·

ـ كيف ؟

ـ عديلة من نفسها قالت لا بد ان ننتظر سنة على الأقل وابوها أيد هذا الرأى بحرارة ٠

ـ وانت ما رأيك ٠

ـ لو لم يقولا هذا ما كنت تزوجت الآن على أى حال ٠

ـ نعم ولكن سنة كثير ٠

ـ والله أعلم ٠٠ ربما أكثر

ـ كيف ؟

ـ اتريدنى أنا أن أتزوج وأفرح وانجب أطفالا وهناك روح انسان متهم فى قتل أبى يتردد الأمر فيها بين البقاء والازهاق ٠

ـ وانت ماذا بيدك ٠

ـ لا أعرف ولكننى لا أتصور أن أتزوج والقضية منظورة ٠

ـ صلاح ٠٠ أتكون كرهت عديلة ٠

ـ بل يزداد حبى لها كل يوم عن اليوم الذى فات ٠

ـ عجيبة ٠

ـ يا عمى حتى يتزوج الانسان ٠٠ واقول الأنسان لا بد أن يكون مرتاح الضمير ٠

ـ يابنى ضمير الانسان لا يشغله الا ما يصنعه الانسان نفسه ٠

ـ أو ما يصنعه أبوه ٠

ـ وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ٠

ـ وهذا طائرى ياعمى ٠

ـ اعانك الله على نفسك يا ابنى ٠

ـ ادع لى ٠

ـ لم تقل لى فيم انتويت أن تعمل ٠

ـ عرض على عميد الحقوق ان اتقدم لأشغل وظيفة المعيد الخالية بالكلية فطلبت أن يمهلنى للعام القادم ٠

ـ لماذا ؟

ـ لى غرض فى هذا ٠

ـ الا تقوله لى ٠

ـ ستعرفه فى حينه ٠

ـ والنيابة ٠

ـ هى أيضا لم اتقدم لها ٠

ـ اذن فماذا تنوى ؟

ـ طلبت قيدى فى المحاماة ٠

ـ ومتى ستحلف اليمين ٠

ـ اظن بعد شهر تقريبا ٠

ـ واين تريد أن تتمرن ٠

ـ لم افكر بعد ٠

ـ اتحب ان تتمرن فى مكتب الدكتور عبد الوهاب ٠

ـ وكله ابن حسن عن ابيه وليس معقولا أن اتمرن فى مكتب يترافع عن قاتل ابى ٠

ـ اذن اكلم الاستاذ عاطف البهنسى ٠

ـ عظيم ٠

ـ الآن ٠٠ اى مكتب يتمنى ان تتمرن عنده ٠٠ أنت جيد جدا يا استاذ ٠٠ وهل انت قليل ٠٠ وعاطف من اعز اصدقائى ٠

ـ وهو كذلك ٠

★★★

— ٢١ —

انعقدت دائرة الجنايات ونظرت فى قضية حسن عبد الحميد وتحدد يوم المرافعة • وتكلم وكيل النيابة ولم يكن محتاجا لاسهاب فالقاتل معترف والجريمة تمت مع سبق الاصرار والترصد فهو يطالب باقصى العقوبة •

وطلب صلاح أن يترافع بوصفه مدعيا بالحق المدنى فسمح له وبدأ المرافعة •

ـ بسم الله الرحمن الرحيم أقولها يا حضرات المستشارين لا افتتاحا للمرافعة فحسب وانما لأتأمل مع المحكمة الموقرة لماذا أختار سبحانه الرحمة الرحيمة من بين أسمائه الحسنى جميعا ليجعل منها فاتحة الكتاب •• أليس هذا الآن صفة الرحمة الرحيمة هى أحب الصفات الى الذات العلية • وقد جعل الله الانسان سيد المخلوقات لانه قبل أن يحمل الأمانة التى عرضها سبحانه على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان فنصبه سبحانه سيد خلقه أجمعين فانسان بلا رحمة ليس انسانا جديرا أن يحمل الأمانة •• والأمانة يا حضرات المستشارين هى الاختيار الذى منحه الله للانسان حين

هداه النجدين وحرم سائر مخلوقاته من حق الاختيار هـذا فالحيوان لا يستطيع ان يكون الا حيوانا والملائكة لا تستطيع أن تكون الا ملائكة ·· والانسان وحده هو الذى يستطيع ان يكون انسانا أو حيوانا أو ملاكا وبهذا الأختيار يصبح الأنسان أما شرا من الحيوان لأنه اختار أو خيرا من الملائكة لانه اختار وكلاهما لا يمسلك الاختيار ·· ونحـن فى عصر يا حضرات المستشارين فرض فيه على مصر ان يكون أبناؤها مسحوقين ·· وحينما يسحق الناس يسوده الجبروت ويفشـو الظلم ويصبح النفاق هو الزعيم الأول ·· فنحن ننافق السلطات وننـافق من ينافقون السلطات وننافق الغش وننافق الخداع وننافق الرشوة وننافق التـدليس وننافق السرقة وننافق القتل وننافق الاعتـداء على الأعراض والأموال والكرامات وعزة الادمى ·· حضرات المستشارين اننا ننافق النفاق ذاته وابناء جيلى نشأوا فى هذه الفترة القاتمة السواد · وقد تبينا أمرنا بعـد أن ادلهم الخطب واشتدي ازمة تنفرجي قد أوشك ليلك بالبلج هكذا قال الشاعر وهو ينظر الى قوله سبحانه فان مع العسر يسرا ان مـع العسر يسرا والعسر هنا واحد لانه معرف بال واليسر مطلق لانه محرر من التعريف بحكمة الاله الاعظم ولهذا قـال المفسرون لا يغلب عسر واحد يسرين ابدا فلا عجب يا حضرات المستشارين أن يبدأ جيلنا نحن أن يصنع اليسر بيده مؤيدا بروح من بارىء النفوس وملهمها فجورها وتقواها · وقد آن لنا أن نتبع تقوانا بعـد أن أوغل عصرنا فى فجوره وخلق من المعاصى ما لم تعرفه البشرية ·

ان هذا المتهم الماثل أمامكم لم يقتـل أبى وانمـا قتل أبى نفسه ·· وان هذا المتهم حين أطلق الرصاص على أبى كان فى حالة دفاع شرعى عن الكرامة التى هى أغلى من النفس ·

اما ان أبى قتل نفسه فيما صنع من فظائع فى حق البشرية وبما قتل من أنفس وبما قهر من رجولة الرجـال وبمـا أذل من كرامات الانسان ·· وأى شىء أقسى على نفس الرجل من أن يكون ذليلا أمام زوجته وابنه وابنته ولا يملك لظالمه دفعا ولا لكرامته

صوتنا .. واذا قالت النيابة ان المتهم هو أيضا قتل طلبت الى الزميل ممثل النيابة أن يرجع الى قول الله سبحانه انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا . وقد كان أبي وأشهد في هذه الساحة المقدسة مفسدا في الارض فحق عليه عقاب . واذا قيل أن العقاب من حق المجتمع ومن حق الله وحده انتقلت الى موقف المتهم مرتئيا انه فعل فعله في حالة دفاع شرعي عن الكرامة التي هي اقدس عند الفلاح الأصيل من النفس .. تصوروا يا حضرات المستشارين حال هذا المتهم مقهورا على ملأ الناس وأمام زوجه وأبنائه وبناته مرغما على أن يبيع أرضا لا يريد بيعها .. ما نظرته الى نفسه والنظرات من حوله احتقار أو اشفاق وكلتا النظرتين أشد على الحر وقعا من كل رصاص العالم فاذا قيل فما باله انتظر هذه السنوات فان الجواب حاضر من قريب .. لقد ذاق هو الذل مقهورا بالجبروت ولم يرد لأبنائه أن يذوقوا الذل مقهورين بالحاجة . فلو أنه صنع صنيعه يوم أرغم على ترك أرضه لترك أطفاله صغارا يتكففون الناس ويمدون أيديهم في طلب الجدوى فانتظر تزيده السنوات شعورا بالمهانة والذلة حتى استوى أبناؤه رجالا .. ودافع عن كرامته التي امتهنت طوال هذه السنين .

وأنا يا حضرات المستشارين لست أدعو بقولي هذا الى الفوضوية التي يتاح فيه للفرد أن يمسك القانون بيديه يشرعه هو ويحاكم به الآخرين وينفذه أيضا فانه اذا حدث هذا وقعنا في هوة سحيقة ينهار فيها بنيان المجتمع كله الى حضيض ما له من قرار .. انما أحاول فقط أن أخفف عبء جريمة القتل العمد التي توجهها النيابة وهي المدافعة عن حق المجتمع الى قاتل أبي هذا .. ان هذا الذي أقول هو ما يحتمل في نفسه دفعني الى قوله محاولة مني أن يكون العدل أعظم من الأبوة وأن يكون حق الانسان في الكرامة التي وهبها الله له مقدسا قداسة الروح الانسانية .. وأن تكون مصر مسبح النعيين لا غابة ذئاب .

وبعد يا حضرات المستشارين فقد يقال انني دافعت عن المتهم وجحدت حق الأبوة والله وحده يعلم كم أقدس الأبوة ولكن

تقديسي للحق ولكرامة الانسان أشد · وانني بهذا الذى أقوله أتوجه الى الذات العلية أن أكون قد كفرت بما قلت عن بعض ما صنع أبي بالانسان سيد المخلوقات وبما امتهن من كرامته وبما اذل من عزته وبما ازهق من أرواحه ·

وقد يقال شاب فى مقتبل العمر انتهز قتل أبيه فرصة ليصنع منها لنفسه شهرة · وانى أحتمل هذه القالة ولا أحتمل أن أكتم الحق نفاقا للمجتمع ولكننى أعلن منذ اليوم أننى أعتزل المحاماة واقبل أى وظيفة قد تعرض على ·

ولو كنت وكيلا عن موكل فى هذه القضية ما قلتها ولكننى يا حضرات المستشارين أنا وحدى الموكل والوكيل فلا وارث للحق المدنى غيرى ولهذا رخصت لنفسى أن أتشرف بهذا الدفاع فى ساحتكم القدسية ·

وانهى مرافعتى يا حضرات السادة المستشارين بتنازلى عن الدعوى المدنية تاركا لاستاذى ممثل الدفاع البدء فى مرافعته

وانهى صلاح كلامه واتجه الى باب الخروج واذا عديلة التى كانت جالسة على مقعد بجانب المشى تقف واذا هى حين يقبل اليها تحتضنه وتقبله على ملأ الناس لأول مرة فى حياتها ويصحبها ويخرجان ·

ويبدأ الدفاع مرافعته :

ـ حضرات المستشارين ·· ليس لى بعد مرافعة المدعى بالحق المدنى أى مرافعة أضيفها الا أن أخبر عدالة المحكمة أن هذا الشاب الذى كان ماثلا أمامكم قد أرجع الحق الى كل من اغتصب أبوه منه حقا ·

وانهى المرافعة بطلب البراءة ··

والتفت رئيس المحكمة الى ممثل النيابة :

ــ النيابة لها تعليق ··

ــ النيابة تفوض الأمر للمحكمة ·

★ ★ ★

ذهب صلاح مع عديلة الى منزل ابيها ولم يكن هناك ما يستطيع واحد منهما أن يقوله · هو لايزال مرتعشا بالموقف الذى وقفه مقتنعا انه الحق · وهى مبهورة به ولم يطل بهما الانفراد جاء ابوها وقالت عديلة :

ــ ما الذى أخرك ؟

ــ كنت أنتظر الحكم ··

ولم يسأل صلاح عن الحكم وقال لوالد خطيبته :

ــ لقد انتظرت هذا اليوم لأسألك هل مازلت مصرا أن تزوجنى ابنتك بعدما شهدت اليوم وبعد أن بددت ثلثى الثروة التى تركها أبى والتى كانت فى حسبانك يوم قبلتنى · أما عديلة فقد أعلنت رأيها فى المحكمة فما رأيك أنت ·

ــ يا بنى انا لست مصرا ولكن لو تكن خاطبا لابنتى لسعيت اليك لكى تخطبها ·· أنا اليوم أتشبث بك وفى تشبثى بك تشبث بالأمل فى مصر الغد ··

رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٠٣
الترقيم الدولى ٢ ـ ٠٩٠ ـ ١٧٢ ـ ٩٧٧

دار قبـــاء للطباعة
بالمنطقة الصناعية C1 أمام المجاورة السابعة
بمدينة العاشر من رمضان ـ ت : ٣٦٢٧٢٧

الناشر
مكتبة غريب
٢٠١ شارع كامل صدقي (الفجالة)
تليفون ٩٠٢١٠٧

الثمن ٢٥٠ قرشاً